كلمة العدد

بقلم : سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

تاريخ البحرين الحديث في المصادر المحلية

في محاضرة بكلية الآداب جامعة البحرين طرح مؤخرا موضوع تاريخ البحرين الحديث في المصادر المحلية. وكان لي شرف الحديث حول الموضوع المطروح وقد يكون من المفيد هنا أن أعرض لبعض ما تناوله الحديث. لقد كان الموضوع الذي طرح عريضا فالحديث عن المصادر المحلية حديث ذو شئون وشجون. والحديث في تاريخ البحرين حديث طويل يحتاج لمساحة كبيرة. ولكني سأحاول قدر الاستطاعة.أن أتجول في آفاق الموضوع راجيا أن نخرج منه بشيء ذي فائدة.

الموضوع المحدد هو تاريخ البحرين الحديث في المصادر المحلية كما هو واضح ينقسم الى قسمين. الأول هو تاريخ البحرين الحديث. والثاني هو المصادر المحلية. أبدأ الحديث بالشق الثاني من الموضوع. ذلك أن المصادر هي النبع الذي يستقي منه المؤرخ ويعتمد عليه.

الفترة المحددة للموضوع هي التاريخ الحديث إي من بداية القرن السادس عشر. وإذا استعرضنا موضوع المصادر لهذه الفترة. فسوف نواجه بظاهرة تدعو للدهشة، كما تدعو للأسى. فليست هناك فترة في تاريخ البحرين الممتد تكدست فيها المصادر الأجنبية مثل فترة تاريخها

الحديث. وليس هناك بالمقابل فترة ندرت فيها المصادر المحلية المعتمدة مثل هذه الفترة. وأقصد بالمحلية هنا. المصادر البحرينية. وهو ما يفهم من العنوان فالتقسيمات المشهورة كما هو متعارف عليه هي المحلية والخليجية والعربية والأجنبية. وبينما نجد أن المصادر العربية وخاصة كتب الرحالة العرب والمسلمين هي المصدر الرئيسي لما كتب عن البحرين في القرون الوسطى. نجد أن المصادر الأجنبية هي المصدر الرئيسي لما كتب عن البحرين في العصر الحديث. في القرون الوسطى كتب البلاذري والطبري وابن قرطبه وناصر خسرو وأبو الفدا ثم ابن بطوطة. أما في العصر الحديث فنجد أمامنا لوريمر وكيلي وويلسون وغيرهم ومجموعة الوثائق الانجليزية والهولندية والبرتغالية والعثمانية وما كتبه المبشرون والعسكريون الذين تخفوا في زي الرحالة والذين يسبقون أي غزو ليمهدوا بتقاريرهم الطريق ويقدموا صورة واضحة للقادة العسكريين عن التحصينات والقوى المحلية والشخصيات المؤثرة. حتى ان مؤلفا كبيرا مثل الدكتور بدرالدين الخصوصي والذي كتب أحد الكتب الهامة والمعتمدة عن تاريخ الخليج العربي أعلن في مقدمة كتابه أنه يعتمد على الوثائق الانجليزية والمؤلفات الأجنبية. ونحن هنا لا نقلل من جهد المؤرخين العرب ولا نقلل أيضا من جهد المؤرخين الأجانب. فلا شك أن الكتاب الأجانب أدوا ما كُلفوا به وبذلوا في سبيل ذلك جهدا كبيرا وتركوا لنا شيئا هاما وإن يكن في حاجة الى تمحيص وتصحيح في كثير من جوانبه. والمؤرخون العرب لم يجدوا أمامهم إلا ما كتبه الأجانب. بعضهم تناوله بحذر وصحح بعض جوانبه. وبعضهم سقط في كثير من الأغلاط التي أوردها الأجانب عن قصد أو عن غير قصد.

على سبيل المثال جاء في كثير من المؤلفات والوثائق الأجنبية وصف القوى المحلية التي كانت تدافع عن بلادها وعن مياه الخليج بأنهم قراصنة بعد أن لاحظ الأجانب ضراوة تصديهم للقوى الغازية. وفاتهم أن القراصنة الحقيقيين هم الذين جاءوا من أقصى الشمال ليحتلوا وينهبوا ويفتكوا بالسكان الآمنين. هذا الوصف شاع وتسرب الى كثير من المؤلفات العربية دون أن يتوقف كاتبوها عنده ليناقشوه أو

يصححـــوه.مثـال آخـر عندمـا كـان بعض الضبـاط المتنكـرين في زي الرحـالة أو المبشرين وهم الذين سبقـوا قوات الغزو يمرون بـالمنطقة ويحاولون التوغل في البـادية ومعايشة أهلها. كـانوا يكتبون في بعض تقاريـرهم عن بعض الـزعامات مثـلا أنه متـزوج من أربع وأنه بـذلك يعتبر رجلا غارقا في الملذات والشهوات ويرسمون بذلك أبعاد شخصية هذا الزعيم أو ذاك.وهم بالطبع لم يكونوا يدركون أن الزواج بأربع أمر أباحـه الاسلام وأن الزواج وخاصـة بالنسبة لبعض الـزيجات كان في معظم الحالات زواجا سياسيا يستهـدف دعم الروابط مع قبائل أخرى أو زعامـات أخرى وأنـه بذلك لا علاقـة له بـالميل الشخصي أو انحراف الشخصيـة مثل هـذه الأخطاء المقصـودة أو غير المقصـودة تمتلىء بها المصادر الأجنبية. وانتقلت في كثير من الأحيـان ـ كما قلت ـ الى المصادر العربية.

في أواخر السبعينات كان هذا الأمر يشغلنـا كثيرا فقد وجدنا المصادر البحرينية التي كتبت عن تاريخ البحرين السياسي لا تتجاوز في عددها أصابع اليد الواحدة.

وكانت المشكلـة التي أمامنا محددة. وهي كيف يمكن تـوفير المصادر المحلية. وبدأت كتابة «البحـرين عبر التاريخ» وصدر الجزء الأول منه بـالاشتراك مع الأخ عبدالملك يـوسف الحمـر. وتنـاولت فيه البحـرين قـديما. ثم حضارة ديلمـون وانتقلت في الفصل الثاني الى البحـرين من خـلال النقـوش التـاريخية. ثم أسطـورة دلمون ثم عـلاقـة البحـرين بـالفينيقيين في الفصل الثالث. وفي الفصل الـرابع تحدثت عن البحـرين قبل ظهور الاسلام وعلاقتها مع كل من دولة الجرهائيين وملوك الحيرة واللخميين. ثم البحرين من القرن الرابع وحتى ظهور الاسلام في الفصل الخامس.

وانتقلت في الفصل الســادس الى البحـريـن في العصـور الاســلاميـة وتوقفت عنـد نهاية دولـة القرامطة. وفي سنـة ١٩٩١م أصدرت الجزء الثاني بالاشتراك مع الدكتور علي أبا حسين وبدأت فيه من حيث توقفت في الجزء الأول أي من نهاية دولـة القرامطة ثم العيونيـون والزنكيون والسلغـريون والجبـور وتحدثت في النهـاية عن الشيخ أحمد الفـاتح

لأتوقف في هذا الجزء عند وفاة الشيخ سلمان بن أحمد. وقبل صدور الجزء الثاني من البحرين عبر التاريخ كان قد صدر في السبعينات كتاب البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي وهو في الأصل أطروحة الدكتورة أمل الزياني للحصول على الماجستير من جامعة القاهرة وقد تضمن الكتاب مجموعة كبيرة من الملاحق وبيان الاستقلال والمرسوم الأميري بشأن التنظيم السياسي للدولة ودستور البحرين وغير ذلك من الوثائق والاتفاقيات التي تجعل من الكتاب موسوعة سياسية موجزة حول تاريخ البحرين الحديث والمعاصر وتجعل منه أيضا أحد المصادر المحلية القيمة.

في سنة ١٩٧٨ إتجه التفكير الى ضرورة تكثيف الجهود لتوفير المصادر المحلية عن تاريخ البحرين وبالذات في العصر الحديث والمعاصر. وبتوجيه من حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة الذي يولى هذا الموضوع اهتماما خاصا وبتشجيع من سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء وسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد تقرر إنشاء مركز الوثائق التاريخية كأحد الأجهزة التابعة لديوان سمو ولي العهد وتوفرت له الامكانيات اللازمة والمرونة الكافية للقيام بمهمته الصعبة وكان لي شرف رئاسة هذا المركز. وكانت الخطة المطروحة أمامنا ذات شقين رئيسيين. الشق الأول ويعتمد على حشد ما يمكن أن نطلق عليه المادة الخام لكتابة التاريخ إذا جاز لي أن أطلق عليها هذا الوصف ـ وقد تم في هذا السبيل تجميع عدد ضخم يربو على الخمسين ألف وثيقة من الأرشيفات البرتغالية والانجليزية والعثمانية وآخرها أرشيف محمد علي. وواكب عملية الجمع إقامة مؤتمر البحرين عبر التاريخ في سنة ١٩٨٣ وقد دُعي إليه أكثر من ٧٠ مؤرخا وأثاريا من مختلف أرجاء العالم جاءوا ومع كل منهم بحث أو أكثر عن تاريخ البحرين في مختلف العصور. إضافة الى المتابعة والاشتراك في المؤتمرات المماثلة التي شهدتها دول الخليج حول نفس الهدف، وحشد ما قدم إليها من أبحاث. كان هذا هو الشق الأول. أما الشق الثاني فاتجه الى إصدار أول دورية تاريخية بالبلاد وهي «مجلة الوثيقة» التي صدر العدد الأول منها في

سنة ١٩٨٢ وتعتمد على حشد أكبر عـدد ممكن من الأبحاث حول تاريخ البحـرين بأقـلام بحرينيـة وخليجيـة وعربيـة وأجنبيـة. وتشجيع الكتابة في هذا المجال

وقـد استطاعت هـذه الـدورية أن تـوفـر كما كبيرا من الدراسـات في مختلف عصـور التاريـخ التي تتابعت على أرض البحـرين الطيبـة من خـلال أعـدادهـا التي نضـع الآن بين يـدى القـارىء العـدد السـادس والعشرين منها. بـذلك أمكن كما قلت حشـد كمية كبيرة من المادة الخام نستطيع أن نقـول الآن وبكل ثقـة أنها قـادرة على توفير المصـدر الـذي يمكن أن تنطلق منه أجيـال قادمة من المؤرخين والباحثين في كتـاباتهم عن تاريخ البحرين.

انتقل الآن الى الشق الثاني من الموضوع وأبـدؤه بلمحات خاطفة عن حال هذه الجزر الجميلة المحببة الى النفس ليس الى نفوس أهلها فحسب بل الى نفوس كل من زارها أو استقـر فيها فترة طالت أو قصرت إذ تترك في نفسه أثـرا لا يمحى لنتخيل هذه الجزر عنـدما كانت بكـرا سنجد أن غالبية ينابيع هذه الجزر وعيـونها كعذاري وأم الشعوم وعين الرحى والسفاحيـة وعين الحكيم وغيرها من العيون كـانت تجرى الى سواحل البحر وكانت هذه السواحل مكتظة بأشجار باسقة هذه الأشجار هي ما نسميها الآن القرم أما ريضانها كروضة الصخير وروضة الرفاع فكانت مكتظة بأشجار اليانبوت وسهولها ووديانها بها أشجار المرخ وأشجار العوسج وغيرها.

وعندما سكنها سكانها الأقدمون ردموا مجاريها وقطعوها من البحر وشقوا لها السواقي والجداول ووزعوا ميـاهها على أربعة عشر وضحا على مـدار الأسبـوع سبعة أيـام الليل وضح والنهـار وضح وأقـامـوا الجداول والبساتين وكانت ينابيعها عذبة قطعوها من البحر فلا عجب أن تسمى بـالبحرين حيث كـانـوا يعتقدون أنها تقـوم على بحر عـذب ويحيط بها بحـر مـالح ولا عجـب أن تقدس هـذه الأرض وأن يتغنى بقدسيتها شعـراء السومريين فهي أرض خصبة قليلـة الكوارث فليس فيها أنهار تفيض سنويا وتغـرق المحاصيل وتخرب الزروع ولكن فيها جداول رقراقة عذبة تجري حسبما يريد لها المزارع بصخينه فلا عجب

أن نسمع المثل الذي يقول الماء تحت الصخين (وهو الفأس) هذه نبذة جغرافية عن هذا الوطن الغالي.

أما تاريخ هذه الجزر المتسلسل المعروف فقد بدأ بعصر دلمون والتنقيب عن الآثار يظهر لنا في كل يوم أشياء جديدة تضاف الى معلوماتنا عن هذا العصر ونفتخر به ثم عصر الجرهائيين ثم عصر التنوخيين ثم عصر المناذرة والفرس ثم العصر الاسلامي الذي دانت له البحرين بدون قتال بل أجابت داعي الله إذ دعاها للاسلام وفي عصر العباسيين تغلب على البحرين القرامطة وأسسوا دولة مرهوبة الجانب وصلت فتوحاتها الى حدود الشام ومصر ولكنها لم تكن مؤيدة من المسلمين بسبب انحراف القائمين عليها عن تعاليم الاسلام وعندما ضعف أمر القرامطة تغلب على حكمهم العيونيون وفي ذلك يقول الشاعر ابن المقرب:

سل القرامط من شظى جماجمهم

فلقا وغادرهم بعد العلا خدما

هذا العصر عصر العيونيين يجب أن نهتم به ونقيم الندوات والدراسات حوله. ثم تمكن السلغريون حكام شيراز من التغلب على العيونيين وهم يمثلون أتابكيه من الأتابكيات التي خلفت الدولة السلجوقية وتسمى أتابكيتهم أتابكية شيراز أو أتابكية فارس وكان على رأسها أبو بكر سعد بن زنكي وتمكنوا من احتلال البحرين كما احتلوا القطيف ولكنها لم تدم في يدهم حيث استطاع العرب طردهم من القطيف اما البحرين فقد استمروا فيها فترة من الزمن وأنا أعتقد بأن الجزر اختصت باسم البحرين عن سائر المنطقة في هذه الفترة وجاء المغول وتصدى لهم جميع المسلمين إلا حاكم شيراز فقد رحب بهم وزوج ابنته لهولاكو وهو كافر ليحافظ على مملكته من شرهم وفعلا سلمت الأراضي التي تحت يده من هجمات المغول وفي عصر المغول قسمت البلاد الاسلامية الى ولايات وكانت سواحل الخليج بضفتيه تحت ولاية هرمز، وهرمز هي ما تسمى بندر عباس وميناو في الوقت الحاضر وبعد ضعف المغول أصبحت هرمز مملكة وكانت البحرين من ضمن الأقاليم التي تحت يدها وفي أواخر القرن التاسع الهجري وبداية

القرن العاشر الهجري تمكن أجود بن زامل الجبري وهو من قبيلة الجبور فرع من قبيلة بني خالد وهم فرع من قبيلة عقيل بن عامر أن يؤسس له دولة امتدت من الاحساء الى القطيف ونجد وأصبحت له شهرة في الخليج وحدث في مملكة هرمز انشقاق بين حكامها وحروب فطلب من أجود أحد الخصوم أن يعينه على استرجاع حكمه على هرمز فقبل أجود أن يعينه على شرط أن يتنازل له عن حكم البحرين فوافق على ذلك وكتبت بينهم اتفاقية ودخلت بموجبها البحرين في حكم أجود بن زامل الجبري سنة ٨٨٠هـ ١٤٧٦م. وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر كانت حركة الاكتشافات الجغرافية في أوج نشاطها وجاءت معها بخطر جديد تمثل في الغزو البرتغالي الذي ساعده انقسام المسلمين الى معسكرين معسكر سني بقيادة العثمانيين ومعسكر شيعي بقيادة الدولة الصفوية ونشبت بين الدولتين المسلمتين حروب وانتهز البرتغاليون انشغال المسلمين بهذه الحروب وأرسل البوكيرك قواته لمهاجمة الخليج سنة ٩١٢هـ ١٥٠٦ ميلادية وبدأت باحتلال جزر كوريا موريا في البحر العربي ثم هاجمت السفن التجارية والسفن المحلية المحملة بالحجاج وهاجمت المدن والقرى على سواحل عُمان وأعملت فيها حرقا وتدميرا وكان افونسو البوكيرك يشرف بنفسه على المجازر الرهيبة التي ارتكبت.

وهبت دولة الجبور في البحرين لمساعدة المدن العمانية والمملكة الهرمزية ولكن البرتغاليين تمكنوا من هزيمة القوى التي قابلتهم واستولى البرتغاليون على هرمز وعينوا توران شاه ملكا عليها من قبلهم واستقروا في جزيرة هرمز وبنوا قلعتهم فيها.

وبعد أن استسلمت مملكة هرمز للبرتغاليين امتنعت البحرين عن ارسال عائد البساتين والرسوم المتفق عليها بين مملكة هرمز ودولة الجبور في البحرين وكان سلطان البحرين آنذاك هو مقرن بن أجود بن زامل الجبري.

في سنة ٩١٥ ــ ١٥٠٩ كتب البوكيرك الى الشاه اسماعيل الصفوي رسالة جاء فيها.

«اني أقدر احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول

والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك وإذ أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم (مكة) فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جده أو عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له ما يريد».

وتمخضت الحرب بين الدولتين المسلمتين عن انتصار الدولة العثمانية بقيادة سليم على الدولة الصفوية بقيادة اسماعيل في معركة جال ديران ٩٢٠ ـ ١٥١٤م واحتل العثمانيون مدينة تبريز واستولوا على أجزاء كبيرة من دولتهم. بعد هذه المعركة زاد اتصال الشاه اسماعيل بالبرتغاليين وتبادل معهم الهدايا وارتبط معهم بتحالفات لمواجهة خطر الدولة العثمانية على بلاده، وفي ديسمبر سنة ١٥١٥مات البوكيرك ولكن سياسة البرتغال ظلت كما هي وبدأت استعداداتهم وتهديداتهم تقوى على البحرين. لم يغب ذلك عن بال السلطان مقرن بن أجود الجبري لذلك نراه يحج في هذه السنة لمقابلة شريف مكة ورجال الدولة العثمانية ليطلعهم على تلك الأحداث ويطلب المساعدة وأقام مقامه في الحكم ابن أخته (حميد الخالدي) وهو جد آل حميد الذين حكموا الاحساء والقطيف فيما بعد وهم براك بن عريعر آل حميد وعشيرته.

وعاد السلطان مقرن من الحج ليشرف على تنظيم قواته استعدادا للهجوم المنتظر فجهز أسطولا كبيرا استعان في بنائه بعمال مهرة من العرب والترك والفرس كما أعاد تقوية أسوار وتحصينات البحرين والقطيف وبذل اهتماما كبيرا في اعداد قلعة البحرين للدفاع.

وفي ١٥ يونيو ١٥٢١ تحرك أسطول من هرمز وهو يضم قوات تابعة لملك هرمز وقوامها ثلاثة الاف من الفرس والعرب وتحملهم مائتا سفينة ويقودهم ريس شرف الدين أوريس ظرفه كما تطلق عليه بعض المصادر، والقوات البرتغالية وقوامها ٤٠٠ برتغالي تحملهم سبع سفن كبيرة مزودة بمدافع ضخمة ويقودها أنطونيو كوريا.

وتكونت قوات البحرين من اثنى عشر ألفا من العرب وأربعمائة رام للسهام وثلاثمائة فارس عربي وعشرين جنديا تركيا من حملة البنادق كانوا يدربون السكان على القتال واستخدام البنادق وكانت القيادة

للأمير مقرن نفسه.

ونشبت المعركة واستمرت عدة أيام وكان الهجوم مركزا على قلعة البحرين وكان التفوق للبرتغاليين بسبب المدفعية التي كانت تدك جدران القلعة وتمهد لنزول القوات المهاجمة وكذلك البنادق التي يتسلح بها المهاجمون يقابلها سيوف وسهام ومع الأسف فإن معظم المصادر التي تصف المعركة برتغالية وهي تمثل وجهة النظر البرتغالية وقد أصيب السلطان مقرن بن أجود بإصابات استشهد من جرائها وتولى القيادة حميد الخالدي الذي سحب قواته الى القطيف ونقل جثمان السلطان مقرن في احدى السفن الى القطيف وتمكن القائد البرتغالي من التعرض لهذه السفينة واحتز رأسه وأرسله إلى هرمز.

انتهت المعركة لصالح المهاجمين وخضعت البحرين للنفوذ البرتغالي ومنح الملك البرتغالي يوحنا الثالث وسام النصر لأنطونيو كوريا وسمح له أن يلبس الوسام على ذراعه وأمر الملك أن يقرن اسم البحرين (بهاريم) مع اسم أنطونيو كوريا ونقشت المعركة على مسلة من حجر، كما رسم رأس مقرن على ترس أنطونيو كوريا.

ورممت قلعة البحرين من الأضرار الجسيمة التي ألحقتها بها المدفعية البرتغالية يشير الى ذلك ما كتب على صخور جزيرة جدا ونصه «وفي شهر شعبان سنة ٩٦٨ هـ ـ ١٥٢٣ ميلادية. وافق الفراغ من قطع مائة ألف صخرة لتجديد بروج قلعة البحرين أيام الوزير الأعظم جلال الدين مراد محمود شاه على يد العبد فيروز».

وأصبحت البحرين تابعة للإدارة في هرمز الخاضعة للنفوذ البرتغالي.

سيطر البرتغاليون على الخليج وباركت كل أوروبا أعمالهم الهمجية باسم الصليب واستمر وجودهم حتى سنة ١٦٢٢م وإن كان وجودا قلقا تعرضوا فيه بدورهم لمقاومة عنيفة ولمعارك ضارية شاركت فيها كل مناطق الخليج وتبرز هنا ثورة ١٥٢٢ وهى الثورة التي تم ترتيبها للهجوم على البرتغاليين برا وبحرا في ليلة واحدة وفي وقت واحد في كل من مسقط وقريات وصحار والبحرين وهرمز أما كيف تم ترتيب ذلك في زمن لم تكن وسائل الاتصال فيه متطورة جدا أو حتى موجودة وإنما

الـذي كان متـوافراً هـو الوسـائل البدائيـة فإن ذلك يحتاج الى دراسـة مستفيضة وان كانـت دلالته هامة الى أبعد حـد وهي استشعار الجميع أن الجرح واحد وأن العـدو واحد وأن التنسيـق والتعاون في مـواجهة الخطر ضرورة لا بديل عنها.

كان البرتغاليون يكتفون بـاحتلالهم السواحل ويبنون تحصيناتهم على هذه السواحل ربما لقلة عددهم ولرغبتهم في القرب من سفنهم وكان همهم هو جمع الأموال والرسوم ويتركون جمعها والشئون الداخلية في أيد أناس متعاونين معهم من أهالي البلد المحتلة وان كان هذا لا يمنع من القيام بمغـامرات همجيـة على الداخل لنهب الأموال واحـراق الأسواق والسفن وتأديب من يشق عصـا الطاعـة عليهم ثم العودة الى مـراكزهم الحصينة، وفي عام ٩٣٦هـ ١٥٢٩ ميلاديـة كان الحاكم على هرمز يدعى شرف الدين وكان خاضعـا للنفوذ البرتغالي والحاكم في البحرين تطلق عليه الوثـائق البرتغالية اسم (بربـادين) ويبدو أن هذا الاسم تحريف لبدر الدين وهـو من أقارب شرف الـدين وكـان على البحرين أن تـدفع الضريبة الى حاكم هـرمز ولكن بدر الدين امتنع عـن دفع هذه الضريبة فأرسل نائب الملك البرتغـالي في الهند أخاه (سماو داكونها) يقـود حملة بحرية في محرم ٩٣٦هـ سبتمبر ١٥٢٩ ميـلادية مكونة من خمس سفن تحمل حـوالي ٥٠٠ رجل مع ست سفن أخـرى مزودة بـالمدافع يقودهـا (باشوار ديسوسا) الذي أخذ يقوم بـدورياته في المياه القريبة من جزر البحـرين ليمنع بـدر الدين مـن جمع المقاتلين من السـواحل المجـاورة وتقول الـوثائق أن بـدر الدين كان يقـود ثمانمائة رجل ورفض تسليم قلعـة البحـرين ورفع علمين على القلعــة أحـدهما أبيض ويمثل السلم والآخـر أحمر ويمثل الحرب ويعني بـذلك أنـه متهيىء للسلم ان أراد البرتغـاليون السـلام وانـه متهيىء للحـرب ان اختاروا الحرب وأمـر القائد البرتغـالي بضرب القلعة بـالمدافع وتصدعت بعض جـدرانها من جراء القصف ولكنها بقيت صامدة واستمر القصف ثلاثة أيام.

ولم يؤثر ذلك في المدافعين حتى أشرفـت ذخيرة المهاجمين من البارود على النفاد فأرسل البرتغـاليون يطلبـون المدد والنجدة من هرمـز وبعد أسبـوعين وصلـت النجـدة وفي هــذه الفترة انتشرت بين الجنـود

البرتغاليين الحمى وقضت على أكثرهم فلم يبق منهم حيا سوى ٣٥ جنديا وكان بامكان أهل البحرين ابادتهم بسهولة ولكنهم عاملوهم بشهامة فتركوهم ليعودوا حتى يقصوا على البرتغاليين ما لاقوه ولكن أكثرهم لم يتمكن من ذلك إذ واجهوا محنة أخرى في عودتهم وسط الأمواج والأعاصير ومات (سيماو) في الطريق ولم يصل الى هرمز إلا بقايا البقايا.

وبدخول عام ٩٤١هـ ١٥٢٤م بدأت المنطقة تشهد تغييرا في موازين القوى إذ تمكن الخليفة العثماني سليمان القانوني بن السلطان سليم (والسلطان سليم) هو الذي لقب بخليفة المسلمين بعد احتلال مصر وتنازل الخليفة العباسي له عن الخلافة وأصبح سليم أول من لقب بخليفة المسلمين من السلاطين العثمانيين وبعد وفاته خلفه ابنه سليمان فكان الخليفة الثاني في الأسرة العثمانية ولقب بخليفة المسلمين السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم.

تمكن السلطان سليمان من احتلال بغداد وشمال ووسط العراق ولما كانت عواطف معظم العرب في ذلك الوقت تميل الى مساندة الدولة العثمانية باعتبارها أكبر دولة إسلامية وحاملة لواء الدفاع عن الاسلام فقد توافدت عليه الوفود وبايعه أمير البصرة وأمير الاحساء وسارع أمير البحرين ريس جلال الدين مراد وأمير القطيف الواقعتين تحت النفوذ الهرمزي الخاضع للنفوذ البرتغالي بطلب المساعدة من الخليفة العثماني للتخلص من النفوذ البرتغالي كما أن سلطان هرمز شرف الدين بعث برسالة للسلطان العثماني سليمان القانوني وهو خليفة المسلمين يطلب منه ارسال مساعدة للتخلص من النفوذ البرتغالي واستجاب السلطان لتلك الطلبات فجرد عدت حملات بحرية كان مصيرها الفشل وظل البرتغاليون يتحكمون في الخليج طوال القرن السادس عشر ومع ذلك ضعف أمرهم في أواخر القرن السادس عشر حيث قامت أسبانيا بضم البرتغال إليها عام ١٥٨٠م - ٩٨٨هـ وفي سنة ١٥٨٨م - ٩٩٧هـ انتصرت بريطانيا على أسبانيا في معركة الطرف الأغر وحطموا الأرمادا الشهيرة وعلى أثر انتصار بريطانيا في هذه المعركة بدأ اهتمامها بتجارة الشرق يزداد، يقول الأستاذ قدري قلعجي

في كتابه (الخليج العربي بحر الأساطير) ص ٣٧٧ «عرف الانكليز الذين يتصفون بالدهاء منذ القدم كيف يدخلون الخليج العربي متابعين خط سيرهم الذي انتهجوه في الهند، ومسوح الراهب وطليسان التاجر زيان قديمان من أزياء المستعمرين الذين يتقدمون من الشعوب الضعيفة والمتأخرة بباقات الورود التي تخفي تحتها الخناجر» وقد شجع بريطانيا على الدخول في هذا المعترك ما يلي:

أولا : سطا المدعو دريك عام ٩٩٦هـ ١٥٨٧م على أرشيف التجارة البرتغالية في السفينة فيليب وأطلع على الأرباح الأسطورية التي تعود على البرتغاليين من تجارة الشرق.

ثانيا : تولى الشاه عباس الكبير عرش الصفويين وكان الشاه صديقا للبريطانيين ومن أبرز مستشاريه الشقيقان أنطونيو وروبير تشيرلي اللذين حملا له الهدايا وزوداه بالأسلحة ومنها ستون ألف بندقية.

واستنادا على تحالفه مع الانكليز قلب للبرتغاليين ظهر المجن وبدأ يهاجم قلاع البرتغال ومراكزهم في الخليج مع مطلع القرن السابع عشر.

وبالنسبة للبحرين فإن القوة التي ظهر بها الشاه عباس الصفوي ومعاداته للبرتغاليين شجعت سكان البحرين أن يبعثوا وفدا الى الشاه عباس الصفوي من كبار أهل البلد يطلبون من الشاه مساعدتهم للتخلص من النفوذ البرتغالي وذلك سنة ١٠١٠هـ ١٦٠١م، (ينظر في ذلك ديوان ابي جعفر الخطي والقصيدة التي مدح بها الشاه عباس الصفوي).

ذكر الأستاذ قدري قلعجي في كتابه المذكور سابقا صفحة ٣٨٠ تحت عنوان ثمار الصداقة البريطانية الفارسية ما يلي:

«واستنادا الى قوة الانكليز طفق الشاه عباس منذ عام ١٠١١هـ ١٦٠٢م يجرد حملاته على القلاع البرتغالية وفي ذلك العام بالذات هاجم البحرين وانتزعها من يدهم واحتلها فترة قصيرة من الزمن».

كما اشتركت في هذه الأحداث الدولة الهولندية ففي أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر اجتاز أسطول هولندي مؤلف من خمس عشرة سفينة رأس الرجاء الصالح ووجهته مياه المحيط

الهندي وفوضته حكومته للعمل الحربي والسياسي وبعد أن درسوا مواقعهم في الشرق ضربوا المواقع البرتغالية في جزائر أندونيسيا وزحزحوا البرتغال عنها واستطاعوا دخول الخليج العربي وساهموا مع الانكليز والقوى المحلية في طرد البرتغال من الخليج ونافسوا الانكليز في التجارة.

وما يهمنا في البحرين هو انها خلال السنوات التي أعقبت مقتل مقرن بن أجود وما أعقبه من فوضى أضعفت البحرين لدرجة كبيرة، فبينما كانت في عصر مقرن بن أجود تستطيع حشد ١٢ ألف جندي وأن تتصدى للبرتغاليين في عنفوان قوتهم وبينما كانت في تلك السنوات دولة عامرة وفقا لما ذكره أحمد بن ماجد من أنها كانت تحتوي على ٣٥٠ قرية الى آخر ما ذكره في هذا الصدد نجدها قد ضعفت نتيجة تتابع الأيدي عليها من البرتغاليين والفرس كما احتلها إمام عُمان الذي لم يبق فيها إلا فترة قصيره أخرجه بعدها النصور حكام بوشهر بأمر من نادر شاه في حملته التي جردها على الخليج وعُمان بصفة خاصة عقب طلب أهل عُمان مساعدته. وقد بلغت البحرين في هذه الفترة درجة من الضعف جعلت المقيمين الهولنديين في جزيرة خرج وهما نيف هاوسن وجان فاندر هلست يتقدمان بمشروع لغزوها في رسالة بعثاها الى الحاكم الهولندي في الهند بتاريخ أول نوفمبر ١٧٥٤م ولا ويطلبان لاتمام ذلك سوى ١٥٠ جنديا و ١٥٠ ملاحا وبعض الذخيرة.

إن المتعارف عليه أن تاريخ العالم الحديث يبدأ مع بداية القرن السادس عشر، ولكن بعض الدول اختارت لتاريخها الحديث بدايات مختلفة، ربما لأنها تمثل بداية مرحلة استقرارها السياسي الذي يمكن المؤرخ من تتبع الأحداث وتداعيها بدقة وصدق، فالفرنسيون مثلا يجعلون الثورة الفرنسية بداية تاريخهم الحديث، والمصريون يجعلون حملة نابليون هي بداية تاريخهم الحديث وفي البحرين ترى الدكتورة أمل الزياني أن تاريخ البحرين الحديث يبدأ في عام ١٧٨٣م وهو الرأي الذي أميل اليه، فقد كانت الفترة السابقة على هذا التاريخ مضطربة أشد الاضطراب، ولا يستطيع باحث مهما بلغ من الدقة أن يدعي أنه أحاط بكل ما دار فيها من أحداث. تاريخ البحرين الحديث إذن

هو تاريخ العتوب! فمن هم العتوب؟
العتـوب جمع عتبي وهـو حلف يضم افخـاذا كثيرة لعـدة قبـائل هـاجـرت من مسـاكنها في نجـد واستقـرت على ضفـاف الخليج بقـرب البحرين ومنطقة البحرين لم تكـن غريبة على عشائر تنتمي لبني وائل وتميم فهي مساكنهم منذ القدم والبحرين كانت ولا تزال تعتز بشاعرها الوائلي طرفـة بن العبد كما تعتز بالمنـذر بن ساوى التميمي. وتحالفت هذه القبائل مع بعضها البعض وتصـاهرت فيما بينها وأصبحت تمثل قبيلـة العتوب الـواحـدة وأقدم من ذكـر عنهم الشيخ عثمان بن سنـد المتوفي عام ١٢٥٠هـ ١٨٣٤م فقال: (والذي يظهر أن بني عتبه متباينو النسب لم تجمعهم في شجـرة أم وأب ولكن تقـاربـوا فنسب بعضهم الى بعض وما قارب الشيء يعطى حكمه على الفرض).

كان عام ١١١٢هـ ـ ١٧٠٠م هو بداية البحث لتحقيق وجود العتوب في البحرين وذلك فيما عاصرهم من الدول والمشيخات فقد ساقنا البحث الى وثائق باللغـة العثمانية بخطها العربي إذ عثـرنا في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في اسطنبـول في دفاتر المهمـة رقم ١١١ وعلى الصفحة ٧١٣ منه على وثيقة مؤرخة في ٢١ رجب ١١١٣ هـ ـ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٧٠١م أرسلها والى البصرة على بـاشا الى السلطـان العثماني والصدر الأعظم باسطنبـول وترجم الوثيقـة عدة أسـاتذة في جامعـة اسطنبول منهم البروفسـور خليل سـاحلي أوغلي وأحمد اغـراقجـه وغيرهما كما عثـرنا على نص آخـر في مخطوطـة لؤلـؤة البحرين في تـرجمة مؤلفـه مؤرخا الوقائع مع العتوب في البحرين بقوله:

(قضية القبيلـة المعتدية.. وعام تلـك شتتوها فاحسبـه) وبحساب الجمل لمجمـوع الكلمة شتتوهـا يصبح التـاريخ هو سنـة ١١١٢ هـ ـ ١٧٠٠م وهذا يدلنا على أن العتوب كانوا من سكان هذه المنطقة قبل هذا التاريخ حيث استقروا وتعودوا على ركـوب البحر وقيادة السفن وهذا يحتاج لفترة زمنية ليست بالقصيرة.

نـزل العتوب في طـريق هجـرتهم الى قطر التي كـانت تخضع في ذلك الحين لنفوذ بني خالد ومن قطـر تفرقت الأسر العتبية في سائر موانيء الخليج لتجتمع من جديد في الكويت.

في الكويت قضى العتوب حوالي ٥٠ عاما بلغ فيها آل خليفة حدا كبيرا من الثراء ولكنهم هاجروا من الكويت بسبب بعض الخلافات التي نشبت مع بني كعب في المحمرة وعادوا الى قطر،وفي طريقهم الى قطر ثانية عرجوا على البحرين التي كانوا يعرفونها جيدا من قبل، وقد انتقل آل خليفة من الكويت الى قطر بحراً حيث أسسوا الزبارة. وهي المدينة التي وصفها لوريمر بقوله: (ان المدينة «الزبارة» كانت قلعة آل خليفة حكام البحرين وانها كانت مسورة ومحاطة بقلاع يتراوح عددها بين عشر إلى اثنتي عشرة تحيط بالمدينة في شكل دائرة قطرها سبعة أميال ومن بينها قلاع فريحه وحلوان وليشا وعين محمد وقلعة مرير ورقيات وأم الشرويل، وكل هذه القلاع الآن - في سنة ١٩٠٤ - مدمرة مهجورة).

كان اختيار الشيخ محمد بن خليفة للزبارة يدل على بعد نظر من حيث موقعها في مواجهة البحرين التي كانت تعتبر من أغنى بقاع الخليج في اللؤلؤ. اتبع الشيخ محمد بن خليفة في الزبارة سياسة حكيمة فقد أقر فيها حرية التجارة والإعفاء من المكوس والضرائب التي تؤخذ عادة من الموانىء المجاورة. وكانت النتيجة اتجاه السفن والتجار الى المدينة. بل شد الرحال اليها الكثير من علماء العصر ورجاله المشهورين وتحولت في وقت قصير الى ميناء مزدهر ملفت للنظر ومنافس خطير للموانىء الأخرى وازاء عجز الكثيرين عن منافسته فقد قرروا القضاء عليه وقد حصن آل خليفة الزبارة تحصينا جيدا أتاح لهم التصدي في عام ١٧٧٧ لحاكم بوشهر الذي قام بأولى محاولاته ضد الزبارة كما أتاح لهم التصدي لسلسلة التحرشات التي بدأوا يواجهونها من القوى الحاقدة الأخرى خاصة بعد أن دأب بنو كعب على قطع الطريق على سفن العتوب. فلما جاء عام ١٧٨٢ تكونت هناك جبهتان الأولى تضم فريق الساحل الشرقي للخليج من شيوخ بني كعب وبندريق وهرمز وانضم اليهم القواسم والثانية تضم عتوب الزبارة والكويت وبدأ نصر بن مذكور والي البحرين من قبل الفرس بشن هجومه على الزبارة انتقاما من آل خليفة الذين استطاعوا اخضاع السفن التجارية التابعة لبوشهر والمتجهة الى البحرين لتسلم الاتاوة

السنوية. وجرد حملة على الزبارة ضمت ألفي مقاتل بقيادة إبنه محمد الذي بدأ في إجراء مناورات بحرية وجعل سفنه في حركة دائبة في المنطقة الفاصلة بين البحرين والزبارة آملا في إثارة الرعب في نفوس آل خليفة ثم بعد ذلك أنزل قواته الى البر حيث فوجئت بقوات الزبارة الأكثر عددا وحماسا والتي يقودها الشيخ أحمد بن خليفة. وبعد معركة عنيفة قتل فيها محمد بن نصر بن مذكور فرت القوات المهاجمة في فوضى الى البحر تاركين أسلحتهم وعتادهم وأصبح الطريق الى البحرين مفتوحا. ولم يضيع الشيخ أحمد الفاتح وقتا فهاجم البحرين فاتحا في عام ١٧٨٣م ليبدأ عهد جديد في هذه الجزر تحولت فيه بصفة نهائية من بلد يتبع عرب بوشهر الخاضعين لشاهات فارس الى دولة عربية للعتوب تحت حكم آل خليفة.

عندما تم فتح البحرين على يد الشيخ أحمد الفاتح كانت القوة الأجنبية المهيمنة في الخليج هى القوة الانجليزية وكان النفوذ العثماني نفوذا اسميا يفرضه الولاء الأدبي لخليفة المسلمين وكانت قوة محمد على آخذة في الازدياد وبعد حملات إبراهيم باشا على شبه الجزيرة العربية تطلعت أنظار محمد على الى الخليج وكان الكثير من القوى المحلية في المنطقة بصدد إنشاء وحدات سياسية أو دعم وحداتها التي أنشئت بالفعل. في سنة ١٧٨٣ أصبح الشيخ أحمد الفاتح حاكما للبحرين والزبارة معا ومقره الزبارة وعندما توفي في سنة ١٧٩٥ ودفن بالبحرين خلفه في الحكم ابناه الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبدالله بن أحمد وبدأت مع ذلك الأطماع في البحرين تزداد وكانت أولى المحاولات التي تعرضت لها هى احتلال سلطان بن أحمد للبلاد سنة ١٨٠٢ وأخذه أخا الشيخ سلمان رهينة وهو الشيخ محمد عند انسحابه وعندما مات الشيخ محمد في الأسر سنة ١٨٠٨ استعان الشيخ سلمان بن أحمد بالسعوديين الذين أرسلوا عبدالله بن عفيصان لمساعدة آل خليفة في طرد قوات سلطان بن أحمد وعندما تم ذلك بقى بن عفيصان في البحرين مما دفع آل خليفة للاستعانة بالسلطان لطرد ابن عفيصان ومات الشيخ سلمان بن أحمد عام ١٨٢٠ وأصبح الشيخ عبدالله بن أحمد هو الحاكم وعادت أطماع سعيد بن سلطان في البحرين

وجرد حملة في سنة ١٨٢٨م إلا أن الانجليز أنذروه بالتدخل لوقف أي فوضى يتسبب بها في الخليج ووجد عبدالله بن أحمد نفسه بين خورشيد باشا من ناحية والانجليز من ناحية أخرى والعثمانيين من ناحية ثالثة ثم بعد ذلك ثارت بعض الخلافات الأسرية ووقعت خلالها في البحرين بعض المناوشات وانقشع النزاع الذي نشب عقب فترة حكم سلمان بن أحمد وعبدالله بن أحمد باختيار الشيخ عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد حاكما على البحرين في سنة ١٨٦٩ وقد استمر حكم الشيخ عيسى بن علي للبلاد مدة تزيد على نصف القرن وتنتهي معه الفترة المحددة للبحث وهي بداية القرن العشرين.

عبدالله بن خالد آل خليفة

أثر الخليج العربي والجزيرة العربية

بدأت العلاقات بين الشرق الاوسط ومنطقة الخليج وشرق افريقيا منذ أبعد العصور .

فالنصوص الفرعونية تتكلم عن علاقة تجارية بين شرق افريقيا ومصر في حدود القرن الخامس عشر ق . م وقد سجلت اخبار زيارة تجارية فى النصوص الصورية الفرعونية[١]

ومن المحتمل ان السومريين أو الاكديين قد وصلوا الى تلك السواحل فإن صلة السومريين فى حوالى ٢٠٥٠ ق . م بماجان (عمان) ودلمون (البحرين) وملخا (عمان أو الحبشة) كانت ثابتة واكيدة [٢] وكانت للفينيقيين أيضا

صلات تجارية مع الساحل الشرقي وقد ارسلوا سفنهم الى الشاطيء الافريقي في حدود ١٠٠٠ ق. م[٣]

وتأتي بعد ذلك في العلاقات القديمة هجرة عرب الجنوب من اليمن الى الحبشة وهي هجيرات وقعت قبل التاريخ . ويعتقد أن مملكة اكسوم انشأها عرب الجنوب الذين طبعوا بطابع القارة الافريقية وفي القرن السادس ق . م هاجر السبئيون واستقروا في ارتيريا والحبشة وأسسوا مملكة تعزية ويوحي اللفظ بتقارب في الاشتقاق بين تعز اليمن وهذا الاسم[٤]

في ثقافة شرق أفريقيا

بقلم / الدكتور يوسف الخليفة

وتشير المصادر الرومانية القديمة التى سبقت بطلميوس إلى سيطرة دولة معافير العربية الجنوبية على دولة افريقيا ولكن بطلميوس يتكلم في حدود القرن الثاني الميلادى عن مدينة (عابتا) وكأنها عاصمة دولة عربية على الساحل الافريقي[٥]

ولعل اهم اثر تركه السبئيون في المنطقة الافريقية لغتهم ، لغة (الحعيز) ذات الحروف السبئية والحميرية حيث اصبحت لغة مملكة اكسوم[٦]

وبعد الاسلام اطلق العرب على شرق افريقيا بلاد الزنج ويحدها من الشرق المحيط الهندى ونهر روقما من الجنوب والبحيرات الكبرى من الغرب ، والصحراء من الشمال وبذلك تنفصل هذه المنطقة عن السودان او الحبشة او غابات الكونغو[٧]

ويدخل تحت هذه المنطقة في الجغرافية الحديثة : الصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق والتى تقع بين خطي عرض ١٢ درجة شمالا و ٨ و ٢٥ درجة جنوبا[٨]

واقام العرب في عدد من مناطق الشرق الافريقي ابتداء من مقديشو في الشمال فسكنوا براوا وسيووباتا ولاسو ومالندى وكليفى وومومباسا ونومبا وبمبا وزنجبار ومافيا وكلوة وموزمبيق وسفاله واغلب هذه الاماكن اقيمت على جزر او قرب الساحل[٩]

وتذكر المصادر العربية المحطات التجارية وسكن الجاليات في الشرق الافريقي وقد بدأت هذه المحطات منذ زمن عبدالملك بن مروان . واول مجموعة خرجت من الشام للاستقرار في الساحل عام ٧٥هـ / ٦٩٤م . وفي هذا التاريخ اسست لامو وبعد سنتين من هذا التاريخ اقام العرب ٣٥ مدينة ساحلية واصبحت لهم قاعدة في زنجبار . ولم يكن اهتمام العباسيين الأوائل جادا بهذه المنطقة ولكن اخبار الهجرات تظهر في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) واضحة . وفي مطلع القرن التاسع عشر نجد ان الاسلام قد انتشر انتشارا واسعا مما ادى الى اعتناق الناس له[١٠] وكان ذلك نتيجة حتمية لهذه الهجرات المستمرة وللعلاقات التجارية المتواترة .

● العلاقات الثقافية بين العرب وشرق افريقيا :

ان انتشار الثقافة العربية فى شرق افريقيا يقترن بظهور الشخصية العربية هناك وكان ذلك مرتبطا بنشاط التجار العرب وانتشار الاسلام بين القبائل الحامية . وقد تكررت الهجرات بين سواحل الخليج العربي والساحل الافريقي ابتداء من القرن السابع الميلادى واستمرت خلال العصور الوسطى . وكان الاثر العربي عنيفا في الساحل الافريقي[١١] وبدأ الاثر العربي باختلاط العرب العرقي بقبائل البانتو الافريقية وكانت الحصيلة شعوبا

قريبة من ملامح وتقاطيع العرب[١٢] . وبترسيخ هذه العلاقة انتشر تعلم القرآن الكريم وعلوم الشريعة وانتقلت مظاهر الحياة العربية وحضارة العرب ، وانتشرت مدارس اللغة العربية والدين الاسلامي في براوة وغيرها[١٣] .

وبانتقال الخلافة العباسية الى مصر عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م اشتدت الحركة الثقافية فيها وقويت علاقة مصر مع الشرق الافريقي واصبح لمسلمي الصومال أروقة خاصة بالأزهر واشتهر من الشرق الافريقي علماء ومحدثون مثل الامام الزيلعى ، جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) والعارف بالله الشيخ على الجبرتى (ت ٨٩٩هـ/ القرن السادس عشر الميلادى) ومن هذه العائلة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى جد الجبرتى المؤرخ المصرى والذي جاء في الاصل من الحبشة في القرن العاشر الهجرى وأقام في رواق الجبرتيه فى الأزهر[١٤] .

وبدأ مفكرو الساحل الافريقي منذ القرن التاسع الهجرى/ ١٤م يكتبون أدبهم الاسلامي وينتجون أدبا شفهيا باللغة السواحيلية التى استخدموا لكتابتها الحروف العربية ولكن السيادة كانت للغة العربية[١٥] .

وكان أثر المسلمين في بلاد الصومال اثرا بالغا فظهر العلماء والخطباء الذين أبدعوا أدبا باللغة العربية ومنهم ابو عثمان فخر الدين الزيلعى الذي ذكرناه أنفا والذي سافر من مقديشو الى القاهرة ومات فيها وترك كتابا اسمه « شرح كنز الوثائق » ومنهم المؤرخ شهاب الدين الملقب بعرب وله كتاب باللغة العربية باسم » فتوح الحبشة ومنهم الاديب عبدالله منير الزيلعى[١٦] .

وتغلب في الشرق الافريقي المذهب الشافعى بسبب هجرات الخليج العربي والجزيرة العربية[١٧] .

وان ظهور اللغة السواحيلية كان نتيجة حتمية لاختلاط العرب بالافارقة وقد استخدمت السواحيلية الحروف العربية ويفترض الباحثون استعمال الحروف العربية منذ وقت مبكر أى منذ القرن العاشر الميلادى[١٨] .

ولكن ظاهرة اختفاء أو فناء المخطوطات القديمة ظاهرة تتسم بها القارة الافريقية فى الشرق أو الغرب منها لأسباب مناخية ولذلك فإن اقدم مخطوطات شرق افريقيا لايتجاوز عمرها القرن السادس عشر ان اقدم مخطوطه هى مخطوطة « كيلوا) التى تعود الى النصف الاول من القرن السادس . وقد كتبت باللغة العربية . وتظهر الوثائق التى تليها باللغة السواحيلية . وقد بنى الباحثون على ذلك فرضا هو : ان الثقافة العربية كانت هي الغالبة قبل الغزو البرتغالى[١٩] .

وحين نصل الى القرن التاسع عشر نجد قائمة باسماء عدد من العلماء

الافارقة الذين اشتد ساعدهم في الثقافتين العربية والسواحيلية منهم : أحمد بن سمياط (ت ١٨٦١ ـ ١٩٢٥) وكان قاضيا فى زنجبار وله كتاب (موجزحياة الشيخ فضل بن علوى) وقد طبع الكتاب في اسطنبول عام ١٨٨٧م ومنهم : الشيخ عبدالله بن محمد بن كنز (١٨٦٠) وله نصوص شعرية ، ومنهم : الشيخ الأمين بن علي المزروعى (١٨٩١ ـ ١٩٤٧) وهو من اشهر علماء شرق افريقيا . وقد أسس مجلة (الاصلاح) وترجم سورة البقرة باللغتين الانجليزية والسواحيلية وعين قاضيا في مومباسا عام ١٩٣٢ وقاضي قضاة فيها عام ١٩٣٧[٢٠] . ومنهم : الشيخ شعيب سيماكو المعروف بـ (شيخ مزى) والشيخ عبدالله صالح الذي تخرج في مدارسه القرآنية حوالى ٥٠٪ من علماء أوغنده وعين مفتيا عام ١٩٧٣[٢١] . ومنهم : الشيخ عبدالله صالح المولود في زنجبار عام ١٩١٢م والمتوفى في مسقط (عمان) في ١٩٨٢ واشتغل فى القضاء فى زنجبار عام ١٩٦٠ وكينيا ١٩٦٨ وله من المؤلفات (أخطاء جسيمه في ترجمة الأحمدية للقرآن) وكتاب (تاريخ الامام الشافعى وعلماء شرق افريقيا) وله ترجمة كاملة للقرآن الكريم الى السواحيلية[٢٢] .

وكان الادب السواحيلي في بدايته شفهيا وتدور موضوعاته حول الاحتفالات ومراسيم الزواج والختان وحفظ القرآن وتسمية الاطفال ومديح الشخصيات الاجتماعية والسيرة . وكان الادب السواحيلي المكتوب هو أدب الدين وان كان أغلبه يكتب باللغة العربية مثل التفسير والحديث والفقه والمواعظ[٢٣] .

وكانت اغراض الشعر السواحيلى ذات جذور قديمه منها ما يعود للتقاليد الثقافية العربية ومنها ما هو مستمد من ظروف البيئة كالادب الشفهي[٢٤] .

ولم تنقطع الصلة بين بلاد الساحل وخاصة بلاد الصومال وبين البلاد العربية . فقد كانت الهجرة مستمرة حتى الثلث الاول من القرن التاسع عشر .

فقد وفدت جماعات من السلفيين النجديين واستقرت فى بلدة بارديرا واخذت هذه الجماعات تدعو الى السلفيه وذلك في حدود ١٨٣٠م[٢٥] وكما ظهر فى نيجيريا عثمان بن فودى وفي السنغال الحاج عمر تال وفي السودان المهدى فقد ظهر في الصومال المجاهد الداعية محمد بن عبدالله بن حسن وكان مجاهدا حارب المبشرين ودعا الى الجهاد وتوحيد الكلمة[٢٦] ويبدو لنا أن اغلب هذه الحركات كانت متأثرة بما كان في الجزيرة العربية من صراع فكرى تمخض عن الحركة السلفية مذهبا فكريا حاول ان ينفى عن الاسلام ما علق به من ممارسات غير اسلامية عبر القرون .

ولذلك فإن الادب السواحيلى العربي

او الشعبي او الذي كان يترجم عن العربية كان متأثرا بهذه النزعات الدينية - فقد ترجمت الهمزية للبوصيرى الى اللهجة الشعبية الكنيغوزيه احدى لهجات السواحيلية وقد ترجمها شاعر سواحيلى يجيد اللغتين ، العربية والسواحيلية واسمه : ايداروس عثمان[٢٧] .

ومن شعراء السواحيلية فى القرن التاسع عشر الشاعرة مونا من منطقة الساحل في كينيا . وكانت تبتدىء فى بعض اشعارها باسم الله وباسم الرسول الكريم وباسم الصحابة وكان شعرها تربويا ، ففى احدى قصائدها وجهت نصحية لابنتها موانا خاشمية في ان تكون مسلمة صالحة ومن شعراء السواحيلية شعبان روبرت المتوفى فى منتصف الستينات وكان مسلما ملتزما وذا موهبة شعرية وقد كتب حوالى عشرين مؤلفا في الشعر والادب وعاش أغلب حياته في تعانغا فى تنجانيقا[٢٨] ومن هذه العلاقات الثقافية المتأخرة بين شرق افريقيا والعرب ما قام به المعلمون العرب في يوغندا منذ أواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر الى واخر النصف الثانى منه اى ما بين (١٨٤٤) و (١٨٨٤م) بالضبط ، فقد ساعد المعلمون العرب الملك موتيسا على الدخول فى الاسلام وأدخلوا القراءة والكتابة ودخل العرب الى يوغندا في صفة مستشارين وقامت مراسلات بين الملك وبين الجنرال غوردون وسلطان زنجبار والخديوى واستخدمت العربية والسواحيلية في هذه الرسائل[٢٩] .

وان دخول موتيسا ملك يوغندا فى الاسلام تلاه دخول رجال الدولة واصبحت صفات الثقافة العربية علامات مميزة ودائمة في الفكر اليوغندي وقد اخذ في هذه الدولة آنذاك بالتقويم الاسلامي وازداد عدد المفردات العربية في اللغة الأوغندية وان شيوع اللغة السواحيلية فيها سهل التواصل العلمي بين يوغندا والقبائل المجاورة . وان تعلم الكتابة والقراءة التى ادخلها العرب نهضت بالمستوى الثقافي في هذا البلد[٣٠] ولذلك فإن الاستعمار قد بذل جهودا مضنية لمنع تأثير الاسلام في أوغندا ولذلك اتخذ قرارا بمنع تعليم اللغة السواحيلية وعدم قبولها كلغة من لغات التعلم وقد عبر (المطران الانجليكانى فى أوغنده عن ذلك بقوله : السواحيلية قريبة جدا من المحمدية (أى الاسلام) . ولا يمكن الترحيب بها في المدارس الاوغندية[٣١] .

ومن خلال هذه السياسة القاسية ضد الثقافة الاسلامية فإن دعاة المسيحية كانوا يتوقعون زوال الاسلام من أوغندا وذوبان المسلمين في المسيحية او الوثنية كما عبر عن ذلك في أوغندا الكاهن آش في عام ١٨٩٣م وقال ان الحزب المحمدى (اى المسلمين) كما أعتقد ، سوف يذوب نهائيا خلال بضع سنوات الا

إذا تم تـدفق عنـاصر محمـديـة (أي مسلمة) خارجية من شأنها أن تمده بالقوة ..[٣٢] .

وبدأت السواحيلية تنحسر عن طريق الحياة الحديثة في المجالات الثقافية فهي مازالت لغة المسلمين فقط كما انها تستخدم فى القضاء وفي الطب الروحاني[٣٣] .

وقوة السواحيلية وضعفها تقترن بقوة او ضعف المد الثقافي العربي والاسلامي وتتماشى طرديا مع الجهد المبذول في مناطق الخليج والساحل الجنـوبي للجزيـرة العربيـة. ويمكن ان نعطى فى آخر هذه الخارطة الثقافية صورة عن وضع الثقافة في (الصومال) بين القرنين التاسع عشر والعشرين .

ان رجال الدين وادباء العصور السابقة كانوا يكتبون ادبهم باللغة العربية وكانوا يكتبون هذا الادب لحلقات ضيقة من القراء الذين يقرأون العربية . وكانت موضوعاته مستمـدة من القصص الـديني والاخلاق الاسلامية والوعظ الدينى الذي يرد فى القرأن الكريم والسير والاخبـار مثل قصص الانبيـاء والصحابة والعلماء[٣٤] ويمكن ان نذكر من ادباء الصومال فى القرن التاسع عشر الشيخ عبدالرحمن الزيلعى الذي تنسب اليه الطريقة الزيلعية والشيخ أحمد غيبو وهو من مواليد القرن التاسع عشر وهو من الـعلمـاء والفقهـاء والمصلحـين الاجتماعيين الذين قادوا حركة ثورة ضد الاستعمار الايطالى .

ومنهم : الشيخ حاج آدم وهو من المعمرين فقد ولد عام ١٨٥٤م وناضل فى الحرب العالمية الثانية فى سبيل استقلال الصومال وكان حيا في عام ١٩٨٥[٣٥] ومنهم الشيخ عبدالله بن معلم يوسف القطبي صاحب كتاب « نصر المؤمنين على المردة والملحدين) والكتاب باللغة العربية وفيه عدة رسائل منها رسالـة (السكين الذابحة على الكـلاب النابحة) وقد الف هذا الكتاب في حدود : ١٣٣٥هـ وهو من الذين ولدوا في أواخر القرن التاسع عشر وعاشوا الى اوائل القرن العشرين ومن مؤلفاته أيضا : (زهرة الانوار في قصـائـد أهـل الاسرار) و (المجموعة الكبرى فى فنون أصحاب السرى)[٣٦] .

ومن رجال الصومال في العصر الحديث الشيخ عبدالرحمن حسين سمنتر (ولد عام ١٩٣١) وقد تخرج في كلية الشريعة الاسلامية بالرياض عام ١٩٦٦ واشتغل بالقضاء عام ١٩٦٧ ـ ١٩٨١ وعين موظفا فى مكتب رابطة العالم الاسلامي عام ١٩٨٦ وقد ألف وترجم عدة كتب[٣٧] .

ومنهم الشـاعر عمـر محمد عبدالرحمن وقد اشتغل بالتدريس والصحافة ويحرر اليوم جـريدة (الطليعـة) الصادرة بـاللغتـين العربية والايطالية[٣٨] .

ومنهم عمر علسو احمد من مدينة (عدل) ومن مواليد عام ١٩٣٤ وقد

درس العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم وتخرج فى كلية العلوم في جامعة القاهرة عام ١٩٦٦ واشتغل بالتدريس .

واصيب تيار الثقافة العربية الاسلامية فى الصومال بنكسه حين تحولت اللغة الصومالية الى الحروف اللاتينية . ففي عام ١٩٧٣ ولأول مرة كتبت اللغة الصومالية بالحروف الاجنبية وأدى هذا الى تحول الشعراء والادباء الذين ليس لهم ثقافة عربية اصيلة لجمع بعض الحكايات أو كتابة القصص والروايات والمسرحيات باللغة الصومالية[٣٩] .

وبالرغم من طول العلاقة الثقافية بين شرق افريقيا والخليج فإن المتبقى من المخطوطات لا يعد اليوم شيئا . ونقرأ فى بحث كتبه د . سيد حامد من السودان ما يلى :

« بعض هذه المخطوطات (في شرق افريقيا) مكتوبة باللغة العربية والبعض الاخر باللغات الافريقية المكتوبة بالحرف العربي كالسواحيلية والملقاسية وفي عام ٧٩/١٩٨٠ (في زنجبار) امكن جمع اكثر من مائة مخطوطة .. وهذه المخطوطات تعطي صورة حسنة عن الحياة الثقافية والاجتماعية فى جزيرة زنجبار وهى تتناول مواضيع مختلفة من بينها التاريخ والسياسة والنحو والفقه والتصوف والشعر والسيرة النبوية والقصص الشعبي والسيرة الذاتية والمذكرات الخاصة .. وفي بعض الاحيان كان اسهامهم عبارة عن شرح الكتب العربية والاسلامية الشهيرة وتقديمها لمواطنيهم فى الساحل الشرقي الافريقي في اثواب جديدة على منوال عيون الكتب العربية والاسلامية واختاروا لها اسماء وعناوين مشابهة لنظيراتها التى حذت حذوها وانتهجت نهجها . كما الفوا ايضا في مواضيع تاريخية وثقافية تهم الساحل الشرقي الافريقي وتتناول قضاياه الخاصة .

وفي بعض الاحيان كتبوا عن تجاربهم الخاصة في شكل مذكرات وسير ذاتية يغلب عليها الطابع الشخصى بالرغم من ارتباطها ببعض القضايا العامة[٤٠] .

● اللغة العربية في افريقيا ومشاكلها :

في هذه الفقرة من البحث ننظر في وضع اللغة العربية فى افريقيا . كلها في شرقها وغربها لان ظروف دخولها إلى القارة متشابهه أجمع الباحثون في غرب افريقيا على أن اللغة العربية كانت مرافقة للعلاقة التجارية التى قامت بين العرب والأفارقه منذ القرن السابع الميلادى واشتدت هذه العلاقة بعد القرن الحادى عشر وادى ذلك الى انتشار الاسلام . وان دخول العربية عن طريق التجارة لم يكن اقل أهمية من دخولها عن طريق اللفظ الديني . فالعربية أصبحت لغة التخاطب والتفاهم بين التجار[٤١] ودخلت مفردات كثيرة مع الحاجات

المستوردة فدخلت تلك الاسماء في اللغات واللهجات الافريقية وان حفظ القرآن وتعليمه ادى الى انتشار مفردات اللغة العربية واستخدم كذلك الحرف العربي في كتابة اللغات المحلية[٤٢] وتلا ذلك تدرج المثقف في سلم الثقافة العربية وقراءة القرآن منذ الطفولة فتكونت طبقة من المثقفين الذين اطلعوا على الكتب الدينية العربية وعانوا ترجمة بعضها الى لغاتهم .

وان ممارسة الثقافة العربية ادت ببعض المثقفين الافريقيين الى التأليف باللغة العربية[٤٣] ونعتقد ان الصلة بالقرآن الكريم كانت وراء استقرار كثير من المفردات في اللغات الافريقية ودوام الصلة في التعامل التجاري . ولعل اكثر اللغات الافريقية تأثرا في غرب افريقيا باللغة العربية هي لغة الهوسا وفي شرق افريقيا هي السواحيلية وقد كتبت اللغتان بالحرف العربي[٤٤]

وان الالفاظ العربية التي دخلت الهوسا . الفاظ كثيرة العدد تربو على الالفين وخمسمائة مفرد تتوزع بين المفرد الديني والمفرد التجاري وبسبب هذا الغنى في المفرد المستضاف فإن الهوسا والى اليوم تعتبر أهم لغات غرب افريقيا . فإن أسماء البضائع التجارية واسماء العقود والاعداد وبعض المصطلحات التي تقوم على القيم الاخلاقية عربية الاصل والجذر والاشتقاق[٤٥] .

ومع ان العربية كانت مرافقة لكل الأجيال الافريقية التي قرأت القرآن الكريم منذ دخول الاسلام وان مئات الالفاظ دخلت في معاجم اللغات الافريقية الا ان اللغة العربية لم تكن في يوم من الايام لغة التخاطب الا بين الجاليات العربية المقيمة وان العربية كانت لغة القراءة والكتابة والتأليف فقط .

ورغم كثرة العلماء الافارقة الذين قد يتجاوز عددهم المئات في جيل واحد وفي منطقة واحدة الا ان اللغة العربية بالنسبة لهم لم تكن لغة حديث الا ما يحفظ من نصوصها للاستشهاد به . قال احد الباحثين : « ومعنى انتشار اللغة العربية في تلك الفترة هو انتشار الدين الاسلامي وكثرة من يستطيع ان يقرأ الكتب الدينية المكتوبة باللغة العربية ويفهمها . وليس معنى ذلك ان العلماء كانوا يتكلمون بالعربية لانها ليست لغة للتخاطب فيما بينهم ولكنها هي لغة الثقافة وكانوا يتعلمونها على الطريقة التقليدية بواسطة قراءة الكتب الدينية او تفسيرها او ترجمتها باللغات المحلية»[٤٦].

ثم يذكر هذا الباحث عدد العلماء الذين اجتمعوا في عيد الاضحى في مناسبة عامة فيقول :

(إن عدد العلماء الذين جمعهم سلطان غيرا باوا في عيد الاضحى للمناظرة مع عثمان في سنة ١٣٠٢هـ الموافق ١٧٨٨م كان فوق الألف)[٤٧] .

وفي تقرير عن وضع اللغة العربية

في السنغال نجد ان اللغة العربية لم تكن هناك لغة كلام او حديث بين المثقف المسلم السنغالى نفسه وانما كانت لغة قراءة وكتابة فقط . يقول الباحث السنغالى مولاى جهور وجه الادباء مؤلفاتهم ؟ فاولا : جعلوها عرضة لاتباعهم وتلاميذهم قبل كل شيء وان لم يكن جل هؤلاء الاتباع يفهمون اللغة العربية وكان أصحاب القلم مطمئنين الى من حولهم من الادباء أو الى بعض أتباعهم الذين يسعهم أن يفسروا مؤلفاتهم للجهال اثناء حفلات مسائية او في المدارس . وبعد تفسير هذا الانتاج فى اللغة الولفية او في اللغة الفلانية يقضي اهل القلم أوطارهم على كل حال . وأخيراً فإن هذا الأدب معد للعلماء ولكل من هو راسخ فى اللغة العربية وكثيرا ما يكتب أصحاب العلم بعضهم الى بعض ويرسل بعضهم الى بعض رقاعا لطيفة ظريفة أو أمداحا وثناء او يبارزون في الشعر)(٤٨) .

وعلى الرغم من التفاوت في كثافة الهجرات البشرية بين غرب افريقيا وشرق افريقيا إلا أن الامتزاج العرقي كثيرا ما يفقد الهجرة قدرتها على الحفاظ على لغتها وبالتالي تتسرب اللهجات واللغات المحلية الى ابناء المهاجرين من خلال امهاتهم وتصبح العربية بالنسبة لهم لغة الدين والتأليف والدراسة ايضا كما هى بالنسبة للافارقة الاصليين .

والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هو السبب أو الاسباب خلف عدم نجاح العربية في أن تحول الافارقة عن لغتهم الام اليها مع كثرة مفرداتها فى الدين والتجارة ؟

اضافة الى قلة الهجرات بالنسبة لحجم القارة فإننا يمكن ان نعدد الاسباب التى ادت الى فشل اللغة العربية في ان تكون لغة الكلام والعلم في شرق القارة وغربها ومن هذه الأسباب :

● صعوبة مخرج الحروف العربية وابدالها :

ان صعوبة مخارج بعض الالفاظ العربية كان أحد اهم الاسباب في عدم قدرة اللغة العربية على فرض نفسها لغة كلام ولذلك وجد الافريقي من السهل عليه اخذ اللفظة العربية التى يضطر الى استعارتها في سياق جملته الافريقية وكان ذلك اسهل من ان يركب جملة عربية كلماتها صعبة المخارج لا يمكن اخراجها اخراجا مفهوما للسامع وقد شرح احد الباحثين السنغاليين صعوبة النطق باللغة العربية نطقا سليما نظرا لاختلاف المخارج قال :

« وكيفما كان الامر فإن القوم الذين يتكلمون بالعربية الفصحى وينطقون بها بوجه افصح وأوضح فما ابعد بلادهم وأنأها .. ولاجل ذلك يلفظ السنغالى بلغة الضاد على وجه معيب وناقص حتى ولو حضر العربي لكان عزيزا عليه ان يفهم السنغالى الذي يخاطبه في اللسان القرآني أو ينطق بحرف الضاد كما ينطق بحرف

اللام وحروف الصـاد والزاى والذال يلفظ بها سينا على اختلافها واما حروف الخاء والقاف والغين فينطق بها خاء على تباينها ولكن الذين تخرجوا في موريتانيا او في البلاد العربية فلهم نطق خال من كل عيب وصارت سلامة نطقهم وصحته أشد جودة وأقوى وضوحا اذا طالت اقامتهم في تلك البلاد .

وفيما يلي نقدم جداول بعض الحروف العربية التى تبدل بحروف اخرى في اللغة السواحلية وفي اليوربا والهوسا والسنغالية لنجد مقدار التبدل الذي يطرأ على المفرد العربي اذا لفظه الافريقي وصعوبة اخراجه صوتيا اخراجا سليما .

وقد قسمنا اللغات الافريقية الى مجموعتين حسب المنطقة فجمعنا في جدول الابدال في لغات شرق افريقيا بين اللغتين الصومالية والسواحلية وجمعنا في جدول الابدال في لغات غرب افريقيا بين اللغة السنغالية ولغة اليوربا ولغة الهوسا .

ووضعنا امام الحرف العربي الحرف المبدل منه ثم اعطينا أمثلة من الكلمات اذا توفرت لدينا في المصادر التى اعتمدنا عليها في رسم هذين الجدولين .

أثر الخليج العربي والجزيرة العربية في ثقافة شرق افريقيا

الحـرف العـربي	الحـرف الصومالي	الحـرف السواحيلي	كلمات صومالية	كلمات سواحيلية
ث	ت	—		
ح	—	هـ	—	هدر (= حذر)
خ	—	هـ	—	هبري (= خبر)
ذ	د	د	—	دبيجو (= ذبيح)
ز	س	—	سياد (= زياد)	—
ش	—	ج	—	جي (= شاي)
ص	س	س	—	سباح (= صباح)
ض	د	د	دعيف (= ضعيف)	دعيفو (= ضعيف)
ط	د	ت	داع (= طاعـة)	تبقة (= طبقة)
ظ	د	د	—	دالمو (= ظالم)
ع	ق مصرية	أ	—	ادمة (= عظمة)
غ	—	جيم مصرية	—	كوفير (= غفران)
ق	—	ك	—	كادي (= قاضي)
م	ن	—	معلن (= معلـم)	

أثر الخليج العربي والجزيرة العربية في ثقافة شرق افريقيا

الابدال في لغات غرب افريقيا (السنغالية واليوربا والهوسا)

الحرف العربي	الحرف السنغالي	حرف اليوربا	حرف الهوسا	كلمات من اليوربا	كلمات من الهوسا
ا	—	—	هـ	—	هيوبكر (= ابو بكر) الحيفو (= الحب)، اللورة (= الابرة)
ب	—	—	م.ل.هـ.ف	—	الجهة (= الجبة) الركومة (= الركوبة)
ت	—	—	ر.د	—	سبد (= سبت)
ث	—	ت	س.ت	اتنيني (= الاثنين)	الكوثر (= الكثر)، تومني (= الثمن)
ج	—		د.ر	—	سردي (= السرج)، اللزام (اللجام)
ح	—	P̄	هـ.ز	الأحي (الحاج)	الهمدى (= الحمد)، زونو (= الحزن) بافور (= البخور، هلق (= خلق)، قواد)
خ	—	P̲	ف.هـ.ك	الاميس (= الخميس)	كومسا (= خميس)
د	—	د	ي.ل.ن.س.ش	—	مشاجي (= مشاهد)، كوال (= قواد)، محمن (= محمد)
ذ	س	—	د.ت.ز	لدان (= الاذان)	الباروس، الباروود (= البارود)، الزمرز
ر	—	—	ل.م.ب	—	دراع (= ذراع)، هدب (= هدب)، حتر (= حذر)
ز	س	—	د.ج	—	زلاقة (= ذلاقة)
س	—	—	ش.ز	—	معالبي (= محارب)، حمام (= خمر)، الحرين (= الحرير) دار (= زاد)، حمحة (= حمزة)
ش	س	—	ج.س	—	خوموشي (= خمس)
ص	—	د	ش.ز.س	—	اجر (= عشر)، كروس (= قروش)
ض	ل	ت	ل.د	فدكه (= فضه)	المكثي (= المقص)
ط	—		د.تس.ت.ظ	تيرة (= طيرة)	الولا (= الوضوء)، اردى (= الارض)
ظ	—	—	ز	—	ديعا (= طبعا)، الخوتسا (= الخط)، التنر (= قنطار) سراظ (= سراط)
ع	—	P̄	هـ.ا	الافيه (= العافيه)	وزيفة (= وظيفة)
غ	غ	ج.ك	ج قاهرية.هـ.ج	—	علام (= علامة)، الوز (= اعوذ)
ف	—	—	هـ.ب	—	كروش (= قروش)، هرار (= غارة)
ق	غ	—	ت	البحمي (= القص) الكران (= القرآن)	الهوتا (= القوطة)
ل	—	—	ك.ن.ر	—	تاكا (= طاقة)، هبارى (= قبر) كنتار (= قنطار) هلاك (= حلال)، جرين (= صبره) الكوارى (= القول)
م	—	—	ن	—	هانسا (= خمسة آلاف)
ن	—	—	ل.م	—	سابولو (= صابون)، ممبر (= منبر)
هـ	—	—	ج	—	مشاجي (= مشاهد)

التصوف) .
ق ٧هـ ـ تفسير عبدالله بن عمر البيضاوى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
ملحمة الاعراب للحريرى (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) (في الاعراب)
الفية ابن مالك (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)
لامية الافعال لابن مالك .
قصيدة (البردة) و (الهمزية) لمحمد البوصيرى (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) في الشعر والمدائح النبوية) .
الدائرة الشافية في العروض والقافية على بحر الطويل (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) (في العروض) .
ق ٨هـ ـ اقرب المسالك والمختصر للشيخ خليل بن اسحق (ت ٧٧٦هـ) الاجرومية لابن اجروم الصنهاجي (ت ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) (في النحو والاعراب) .
ق ٩هـ ـ تحفة الحكام في نكت العقود والاحكام لابن عاصم (ت ٨٢٩هـ/ ١٤١٦م) (في الفقه) .
ق ١٠هـ ـ تفسير الجلالين للسيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) وجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) .
ق ١١هـ ـ تفسير مدارك التنزيل للنسفى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
الالفية لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) (في الحديث)
الاخضرى فى العبادات ، وهو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عامر المغربي (ت ٩٨٣هـ/ ١٥٨٥م) (في الفقه) .

المقدمة العزية لابى الحسن عبدالله بن ناصر الدين المصرى الشاذلي (ت ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) (في الفقه) .
الجوهر المكنون لعبدالرحمن الاخضرى الجزائرى (ت ٩٨٣هـ/ ١٥٨٥م) (في الادب) .
متن السلم لعبدالرحمن الاخضرى المغربي (ت ٩٨٣هـ/١٥٨٥م) .
ق ١١هـ ـ متن العشماوية ـ وهو عبداللطيف بن شرف الدين العشماوى كان حيا في ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م) (في الفقه) .
المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين لابن عاشور الفاسى الاندلسى (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) منظومة على مذهب مالك (فى الفقه) .
ق ١٢هـ ـ الحكم لابن عطاء الله المصرى (كان حيا في ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م) (في التصوف) .
ق ١٣هـ ـ المقدمة الكوكية لمورخج كهبة الكوكى السنغالي ، (في النحو)
سراج طالب العلوم ، للعربي بن ادريس الموساوى ت ١٣٢٥ (في العروض) .
ميزان الذهب لاحمد الهاشمى المصرى (العروض) .
مبين الاشكال للقاضي مجخت كل السنغالى (في العروض) .
تبشير الطلاب بمبادىء الحساب للشيخ الهادي نورى وهناك كتب في الجغرافية على طريقة بطلميوس وفى

علم الحســـاب وعلم النجــوم وعلم الأفلاك الخ ...

ب ـ المناهج التعليمية في نيجيريا:

ق ٢هـ ـ موطأ مالك (ت ١٧٩/٧٩٥م).

ق ٣هـ ـ صحيح البخارى (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

صحيح مسلم (ت ٢٦٥هـ/ ٨٧٤م).

ق ٤هـ ـ رسالة ابن ابي زيد القيرواني ، عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) ، (في الفقه).

ق ٦هـ ـ المختصر في فروع الفقه المالكى لخليل بن اسحق الجندى المالكى (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م) (في الفقه).

منظومة يحيى القرطبى : يحيى بن عمر سعدون القرطبي ضياء الدين ، ابوبكر وهو فقيه ، ناظم ولد في قرطبة ودرس في مصر وبغداد واقام بدمشق له : دلائل الاحكام (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م) (في الفقه).

مقامات الحريرى (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) (في الأدب).

القصائد العشر للتبريزى (ت ٥٠١هـ/ ١١٠٨م) (في الشعر).

ق ٧هـ ـ الفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) (في النحو).

ق ٨هـ ـ الاجرومية لابن اجروم الصنهاجى (ت ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) (في النحو).

قطر الندى وشرح ابن هشام على الالفية وشذور الذهب وكلها لابن هشام (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م) (في النحو).

ق ٩هـ ـ ١٠هـ تفسير جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥) وجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م).

ق ١٠هـ ـ العزية ـ المقدمة العزية لابى الحسن عبدالله المصرى الشاذلى (ت ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) (في الفقه).

ج. تلف المخطوطات والوثائق :

سبق ان قلنا ان اللغة العربية لم تتمكن من الثبات فى شرق أو غرب افريقيا بسبب ذوبان الهجرات والمكان الوحيد الذي لم يحدث هذا فيه هو السودان الاوسط لضخامه الهجرة فاستقرت العربية هناك لغة كلام ونضيف الى ذوبان اللهجات طبيعة القارة الافريقية التى تؤدي الى تلف المخطوطات والوثائق فى سنين معدودة وقد تكون ظروف المجتمع الافريقي نفسه وكثرة الحروب سببا اخر لخلو افريقيا من المخطوط . فإن جيلا من الافريقيين يبنى تراثه الادبي ثم يفقده ويضطر الجيل الاتى الى بناء تراث ادبي آخر وهكذا ولذلك فلا يوجد ميراث ادبي من المخطوطات متواصل مع القدم.

وهذا الواقع هو الذي جعل احد الباحثين الافارقة يثير المشكلة

ويتساءل عن مصير المخطوطات العربية في افريقيا قال :

(اى شيء وجدنا إذن عند السودانيين المسلمين (في السنغال) منذ اوائل القرن الثامن للميلاد وكيف صارت المؤلفات التى تركوها لذريتهم ؟ واين هى ؟ ولا يقبل عقل الانسان ان هؤلاء لم يموتوا عن وثيق مكتوب من زمان اعتناقهم للاسلام الى القرن التاسع عشر الميلادى . وكيفما كان الشأن فقد بحثنا عن الامر وفتشنا غير انا لم نعثر على اى شيء من مخطوطات من عهد ملك وارجابى إلى زمان حج الشيخ عمر تال إلى بيت الله الحرام في سنة ١٨٢٠م .. ألا ينبغى لنا أن نعترف رغما عن ذلك بأن ما عثرنا عليه من الوثائق لا يدل الا على جزء ايسر وعلى قسم أزهر من المكتوبات الضخمة التي تركها آباؤنا الاقدمون وما أكثر ما فقدناه من كتب ومخطوطات . غير ان ما بقي منها له فائدة مهمة فى الميدان التاريخى والاجتماعي ولاسيما في الميدان الادبي)[٤٩]

ويعطي الباحث الاسباب التى تعود للبيئة فى القارة الافريقية والتي كانت خلف تلف المخطوطات قال :

(ذلك ان بعض المكتبات قد أكلتها الارضة والفئران أو أتلفها تغيرات فى الهواء كالمطر والندى والحرارة والسرقة وهلم جرا ..)[٥٠]

ونريد ان نضع افتراضا تقديريا عن مجمل مادخل القارة الافريقية من مخطوطات خلال الف سنة لنرى مقدار ماذهب ومقدار ما تبقى .

قال محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودى انه قرأ ما مجموعه عشرون الف كتاب[٥١]

واذا افترضنا ان هذا الرقم هو حصيلة ما جمع في نيجيريا خلال قرن من الزمن فإن مجموع مادخل الى غرب افريقيا في عشرة قرون يكون قد بلغ ٢٠٠ الف نسخة ومثله فى شرق افريقيا فيكون مجموع مادخل افريقيا خلال عشرة قرون قد بلغ ٤٠٠ ألف مخطوط عدا نسخ القرآن الكريم التى قد تدخل الى افريقيا بمعدل ١٠٠٠ نسخة كل عشر سنوات وبذلك يكون مجموع مادخل اليها في عشرة قرون قد بلغ ٢٠٠ الف نسخة من القرآن الكريم وبذلك يكون مجموع المخطوط العربي الذي دخل الى افريقيا قد بلغ ٦٠٠ الف فأين هى الان ؟

فالمكتبة السنغالية لا تعرف من المخطوطات اكثر واقدم من كتب الحاج عمر تال وفي نيجيريا لا يمكن ان تكون المخطوطات الموجودة اقدم مما تبقى عن مكتبة آل فودي وفى الشرق الافريقي لا توجد مخطوطة اقدم من مخطوطة كلوا التاريخية ولا تبلغ المخطوطات الا بضع مئات .

ان هذا التلف المستمر في الخزين الثقافي كان خلف الضعف الثقافي المستمر وكانت الموجات المهاجرة تحاول ان ترفده بالمتحدث العربي وبالكتاب المستورد والمجلوب معها ولكن طبيعة القارة وقدرتها على

الائتلاف كانت تتغلب . ولذلك فإن اللغة العربية قد عجزت عن السيطره والاقامة المستمرة في شرق القارة او في غربها .

● تأثير العربية في شرق افريقيا :

لقد أسهبنا في الفقرة السابقة في الاسباب التي جعلت العربية لغة غير مقيمة فى افريقيا ولعل اهمها قلة كثافة الهجرات والتنقل السريع ولم تنجح الهجرة العربية في الاستقرار الا في السودان حيث بقيت اللغة العربية حية في العامية والفصحى وحصلت على موضع جنوب مصر .

اما في غرب افريقيا وشرقها فلم يبق من العربية الا المفردات المقيمة فى اللغات الافريقية كالمفرد الدينى والتجارى والا بعض المضامين الادبية يذكر احد الباحثين اثر المفرد العربي فى لغة الهوسا واللغات الأخرى بسبب التجارة فيقول :

أدخلت كلمات عربية جديدة في اللغات المحلية وخاصة فى لغة الهوسا التي كانت وما تزال اللغة التجارية السائدة في غرب افريقيا ادخلت مثلا اسماء بعض البضائع المستوردة من البلاد العربية والتى لم تكن معروفة عند اهل تلك الولايات قبل ذلك مثل الحرير والزعفران والسرج وغيرها وكذلك أدخلت العقود من الاعداد من عشرين إلى تسعين وبعض الكلمات التى لا يستغنى عنها التجار كالغش والامانة وامثالهما فهذه الكلمات وامثالها كلها دخلت في لغة الهوسا في تلك الفترة ومنها إلى بعض اللغات المحلية كلغة فولا . Fula ويربا Yoroba ثم يضيف الى ذلك الاثر الدينى ودخول « كلمات دينية كالركوع والسجود والكفارة وغيرها . ولعله في اوائل تلك الفترة دخلت اسماء الايام العربية وانتشر استعمالها حتى نسي الناس اسماءها المحلية .(٥٢) .

وان هذا التقرير عن لغة الهوسا في غرب افريقيا يصدق على اللغة السواحيلية فى شرق افريقيا . وفى سبيل ان نعطى نموذجا لاثر العالم العربي والجزيرة العربية والخليج العربي فى ثقافة شرق افريقيا فاننا سنحاول أن نقدم نموذجا لما في السواحيلية من مفردات عربية تحت الحرف الاول من حروف المعجم السواحيلى ثم نقدم نموذجا آخر للأثر الأدبى فى الحكايات العربية الشعبية الصومالية .

أ . المفرد العربى فى السواحيلية :

استضافت السواحيلية عددا كبيرا من المفردات العربية ويمكن ان نصنف هذه المفردات إلى مجموعات ذات لون واحد ، فهناك الالفاظ التجارية ، والالفاظ الدينية ، والفاظ الآداب والسلوك والاخلاق ثم المفردات العامة المتفرقة وسنتناول هنا المفردات التجارية والدينية وسنعطي نماذج من هذه المفردات التى وقعت

تحت الحرف الاول من حروف المعجم السواحيلي .

١ ـ المفردات التجارية :

لا يمكن حصر المفردات العربية التجارية في مضمون واحد فهي تتناول عددا مهما من مفردات المعجم التجاري وتغطي كثيرا من اسماء البضائع التجارية والفاظ المعاملات ويمكن ان نقدم بعضها في القائمة التالية[٥٢] :

(عبري : مسافر . عبر ABIRI, To travel as passenger .

(عبيريا): مسافر . عابر سبيل ABIRIA, a passenger .

(ابيريشا) : سفر . عبر ABIR-ISHA, To convey as passenger

(عهدي) : عهد . وعد AHADI, a promise

(عهيدي) : عاهد AHIDI, To promise

(اخيريشا) اخر . ارجا AHIR-ISHA, To postpone

(اجيري ، اجيريشا) اخر AJIRI, AJIRISHA,

(اجيروا) مؤجر AJIRWA, To be hired

(آله) : اداة . آلة ALAH—

(علامة) : علامة ALAMA, A mark, sign

(الماسي) : الماس ALMASI, A diamond

(عملي) عمل . مهنة AMALI, Action, Occupation

(امانة) : عهد . وديعة . امانة AMANA, pledge, deposit

(اماني) امان سلام AMANI, Peace

(امارا) أمر مستعجل AMARA, Urgent business

(امنيكا) مراد AMINIKA, Trusted

(امنيشا) : وصغ ثقته في AMI-NISHA, To entrust

(عربوني) : عربون ARABUNI, A deposit, guarantee

(اردي) : ارض . تربة ARDHI, Soil, Ground

(عريفو) : اخبر . عرف ARIFU, To inform

(عريفوا) : معرف . مخبر ARIFI-WA, Be informed

(اروبا) : اربع . اربعة AROBA, Four

(اروبيني) : اربعون ARO-BAINI, Forty

(عسلي) : عسل . دبس ASALI, Honey, Syrup

(اثاري) : اثر . علامة . خال . عيب ATHARI, A mark, Blemish

(اثيري) : يترك اثرا. يعلم ATHIRI, To mark

(عزيمة) (١) استعار . اعار AZI-MA, (1) To borrow, Lend

(٢) عزم عليه . سحره A (2) charm

(عزيزي) : عزيز . ثمين . ممتاز

AZIZI, A treasure, Excellent

٢ ـ الالفاظ الدينية :

ان الالفاظ الدينية كثيرة في اللغة السواحيلية وهى قد تفوق فى كثرتها الفاظ التجارة . وهذا نموذج من هذه الالفاظ الموجودة تحت الحرف الاول فى المعجم السواحيلى .

(عبودو) عبد ABUDU, To worship

(عبودوا) معبود ABUDIWA, Be worshiped

(عظمة) مجد . العظمة AD HAMA, Honour, Glory

اذانا) / اذان ADHANA, Mos-lem call to prayer

(عزيبيكا . عذيبوا) : معذب . معاقب ADHIBIKA, ADIBIWA, Be punished

(عظيمشا) يعظم ADHIMISHA, To honour

(اذينى) يؤذن ADHINI, To call to prayer

(الظهرورى) : الظهر . وقت الظهر ADHURURI, Noon

(عادلى) : عادل ADILI, Right-eous, just

(افضلي) مفضل AFADHALI, Preferable, Preferably

(عفو ، عفوا) عفو . نجاة من البشر AFU, AFUA, Deliverance from calamity

(عفوا) عفا عن . غفر AFUA, To deliver, save

(الايسري) : العصر بعد الظهر ALASIRI, Afternoon

(الفجيرى): الفجر ALFAJIRI, Before dawn

(الله) : الله جل جلاله . الاله ALLAH, God

ب ـ أثر مضامين الحكايات العربية التراثية فى الحكايات الشعبية الصومالية :

على الرغم من عدم توفر شواهد عن عدة اقطار افريقية الا أنه يمكن القول وبكثير من الثقة ان الادب العربي قد اثر في الآداب الافريقية الشفهية والمكتوبة وان الرصد الذي قمنا به هنا يخص شرق افريقيه ويخص الصومال بالذات وقد أظهر هذا الرصد أثر مضامين الحكايات التراثية في الحكايات الشعبية ونحض الباحثين على متابعة العمل والمقارنة بين الادبين العربي وأدب الاقطار الافريقية الاخرى مثل كينيا واوغندا والصومال والحبشة فى شرق افريقيا ويمكن اجراء هذه المقارنات في غرب افريقيا فى اقطار مثل نيجيريا والسنغال وفى لغات مثل اليوربا والفولانية والهوسا . واذا توفرت لنا المصادر في الاداب الشعبية الافريقية فاننا نأمل ان نقوم ببعض هذه المقارنات بين تراث العربية القصصى وتراث اللغات الافريقية. وليس وجه الغرابة فى وجود الشبه والعلاقة او التأثر ولكن الغرابة فى عدم وجود مشابهة بين الاداب او مقاربة لحضارة عايشت الحياة

الافريقية اليومية على مدى اكثر من ألف سنة . وسنعطى هنا نماذج من الحكايات العربية التراثية المتشابهة مع حكايات شعبية صومالية ويجب هنا ان أنوه بفضل السيد (علي يلحو) فى تقديم النماذج الصومالية التى اعانتنى على تقديم هذه الفقرة من هذا البحث بمقارنتها بالمصادر العربية وسنعطى النموذج العربي مع نموذج الحكاية الصومالية وأغلب هذه الحكايات تكاد تكون قد ترجمت بتصرف من الأدب العربي الي الادب الصومالى واخترنا لهذه المقارنة ثلاث حكايات .

١ـ حكاية فى بيته يؤتى الحكم :

وردت فى العربية بروايتين . فقد رويت أواخر القرن الثانى للهجرة فى كتاب الامثال(٥٤) لابي فيد السدوسى (ت ١٩٥هـ) . ووردت كذلك فى كتاب مجمع الأمثال للميدانى (ت ٥١٨هـ) واختلفت الحيوانات المتخاطبة في الروايتين العربيتين . ففي رواية السدوسى تقوم الخصومه بين الضبع والثعلب والحكم هو الضب . وفي رواية الميدانى تقوم الخصومه بين الارنب والثعلب ويحتكمان الى الضب كذلك . اما في الرواية الصومالية فالحكم هو الافعى والمشتكى هو السنجاب والمشتكى عليه مجهول ولكن صيغة الحكاية واحدة مما يدل على الاثر العربي فيها .

وننقل هنا النصين العربي والصومالي.

النص العربي :

قال الميدانى :

(في بيته يؤتى الحكم : هذا مما زعمت العرب عن ألسن البهائم . قالوا ان الارنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فاكلها . فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت الأرنب : يا أبا الحسل . فقال : سميعا دعوت . قالت اتيناك لنختصم اليك . قال : عادلا حكمتما قالت : فاخرج الينا .

قال : في بيته يؤتى الحكم قالت : إنى وجدت ثمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب .

قال لنفسه بغى الخير .

قالت : فلطمته .

قال : بحقك أخذت .

قالت : فلطمنى .

قال : حر انتصر .

قالت : فاقض بيننا .

قال : قد قضيت . فذهبت أقواله كلها امثالا)(٥٥)

النص الصومالى :

الحية والسنجاب .

كانت في قديم الزمان حية ملكة . فقدم اليها سنجاب بشكوى ضد من استخرجوا حبوبا له دفنها للخزن في مكان ما وجرى بينهما هذا ، الحوار :

السنجاب : ايتها الملكة اختزنت حبوبا في احدى الحفر في مكان ما .

الحية : ان في طبيعة الرجال ان يقتصدوا وينموا اموالهم .

السنجاب : لقد استخرج شخص ما تلك الحبوب وسرقها .

الحية : ان ذلك من كثرة الطمع .

السنجاب : عند ذاك لطمت الشخص .

الحية : فعلت فعل من يسرق ماله .

السنجاب : فصرعني بعدئذ ورماني على الارض .

الحية : انه عين ما يفعله المغلوب على امره والمعتدى عليه .

وبعد ان تم هذا الحوار بينه وبين الحية ودعها حيث رأى ان الحية لم تفعل اكثر مما فعلت .

وذهب غير راض عن الحديث الذي جرى بينهما بعد ان علم منها كل ما تستطيع ان تفعل او تقول).(٥٦)

٢ . حكاية انما اكلت يوم اكل الثور الأبيض :

ترد هذه القصة في مجمع أمثال الميداني ونجد الحكاية الصومالية تقترب كثيرا من مضمون الحكاية العربية وان اختلف تسلسل الثيران التى اكلها الاسد ففى الرواية العربية يأكل الاسد الثور الابيض اولا ثم الاسود ثانيا والاحمر ثالثا اما في الرواية الصومالية فإنه ياكل الابيض اولا ثم الاحمر ثانيا والأسود ثالثا . وفيما يلى نص الروايتين العربية والصومالية .

النص العربي :

انما اكلت يوم اكل الثور الابيض :

يروى ان اثواراً ثلاثة كن في أجمة ابيض واسود واحمر ومعهن فيها اسد فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه . فقال للثور الاسود والثور الاحمر لا يدل علينا في أجمتنا الا الثور الابيض فإن لونه مشهور ولونى على لونكما فلو تركتمانى أكله صفت لنا الاجمة .

فقالا : دونك فكله ؛ فاكله ثم قال للاحمر : لونى على لونك فدعنى أكل الاسود لتصفو لنا الأجمة فقال : دونك فكله فاكله . ثم قال للاحمر : انى أكلك لامحالة . فقال : دعني انادى ثلاثا فقال : افعل فنادى : الا اني أكلت يوم أكل الثور الأبيض(٥٧).

النص الصومالى :

الاسد والثيران الثلاثة :

كانت ثيران ثلاثة اسود وأحمر وابيض تعيش في غابة نائية بعيدة عن الضوضاء ومشاكل البشر ، تتوفر فيها الاعشاب الخضراء والمياه العذبة وكانت حياتهم هادئة مطمئنة ذات سعة وهناء . وجاء الى تلك الغابة أسد شارد انفصل عن بنى جنسه وطلب لنفسه حياة اكثر سعادة وأكثر رغداً وسكن تلك الغابة وبقى زمنا دون ان يجد ما يسد رمقه ثم خرج للصيد فصادف الثيران الثلاثة بالقرب من غدير الماء . وحين حاول افتراس أحدها علم انه قد رأته قبل ان يقترب منها كثيرا فانضمت سوية وشخصت بقرونها اليه وهى تتطلع اليه بنظرات

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر :

١ ـ أخبار الاذكياء لابن الجوزى . تحقيق د . مرسى الخولي . القاهرة .

٢ ـ الامثال لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسى (ت ١٩٥ هـ) تحقيق د . رمضان عبدالتواب . القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ .

٣ ـ مجمع الامثال للميداني (ت ٥١٨هـ) تحقيق محيي الدين عبدالحميد القاهرة ١٣٧٤/١٩٥٥ .

٤ ـ المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهى . بيروت . د . ت .

٥ ـ نوادر جحا : تحقيق وجمع عبدالستار فراج . القاهرة . د . ت .

ب ـ المراجع :

٦ ـ الادب السنغالى العربي د . عامر صعب الجزائر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ .

٧ ـ الادب الصومالى المعاصر : علي الشيخ عبدالله يلحو . رسالة ماجستير . معهد البحوث والدراسات العربية ، خط ، بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ .

٨ ـ الاسلام ومراكز الثقافة الاسلامية في اثيوبيا والصومال : د . السر السيد احمد العراقي (بحث . كتاب ندوة العلماء الافارقة . الكويت ١٩٨٥) .

٩ ـ الالفاظ العربية المستعارة في لغة الهوسا : داود سلوم . مجلة كلية الاداب . العدد ٢١ لعام ١٩٧٧ .

١٠ـ الالفاظ المستعارة من العربية ف اللغة السواحيلية د . داود سلوم مجلة كلية الاداب ـ العدد ١٩ لعام ١٩٧٦ .

١١ـ الثقافة الاسلامية ضمن اطار السيطرة المسيحية . مثال اوغنده عيسى ك . ك . لوكواغو (بحث . كتاب ندوة العلماء الافارقة الكويت ١٩٨٥ .

١٢ـ حركة اللغة العربية وادابها ف نيجيريا : د . شيخو أحمد غلادنت . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٢ .

١٣ـ حضارة ساحل شرق افريقيا السواحيلية حتى القرن الخامس عشر : أ . د . شريف (بحث كتاب ندوة العلماء الافارقة . الكويت ١٩٨٥) .

١٤ـ دور شعراء السواحيلية التقليديين ف الحضارة الاسلامية والعربية ت . س . ى . سينغو (بحث كتاب ندوة العلماء الافارقة . الكويت

الغزو البرتغالي للخليج العربي

اتسمت الكتابات الفرنسية عن بدايات الغزو البرتغالى للخليج العربى بشحتها أو حتى نستطيع الجزم بانعدامها سواء اكان ذلك فى الوثائق الفرنسية (عدا وثيقة واحدة) أو في كتب الرحلات والواقع لا توجد اى صعوبة تواجه الباحث فى تفسير هذه الظاهرة فهى ولا شك تعود الى دخول الفرنسيين المتأخر فى ميدان الصراع والمنافسة الاستعمارية الاوربية فى المحيط الهندى بشكل عام وفي الخليج العربي بشكل خاص قياسا الى بقية الدول الاوربية الاخرى كالبرتغاليين والهولنديين والانجليز ، غير ان عدم وجود وثائق ومصادر فرنسية معاصرة لبدء الغزو البرتغالى للمنطقة لايعنى استمرار هذه الحالة لاحقا . اثناء فترة الاحتلال البريطاني لجزر ومدن عديدة في الخليج العربي واقامتهم فيها حاميات وحصونا عسكرية ، فقد جاب المنطقة وبخاصة فى القرن السابع عشر العديد من الرحالة والبعثات الدينية التبشيرية الفرنسية تمخض عنها صدور كتب وضعت عن سير تلك الرحلات ووصف للمدن الواقعة تحت سيطرة البرتغاليين وتجارتهم وتعاملهم مع السكان والتحالف الانجليزى الفارسي لاخراجهم من هرمز ومن ثم طردهم من قبل اليعاربة من آخر حصونهم فى الخليج العربي وتتبعهم الى شرق افريقيا والهند .

من خلال المصادر الفرنسية

بقلم الدكتور صادق ياسين الحلو

وتأتي بالمرتبة الثانية الرحلات والكتب العادية التى صدرت فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وتأتى فائدتها من قربها زمنيا الى فترة الوجود البرتغالى كما يركز بعضها على التحليل الاجتماعى لاسباب ضعف النفوذ البرتغالى وتدهوره ، ويتناول الآخر بالتفصيل مقاومة اليعاربة العمانيين لهم في شرق افريقيا والهند .

اما الكتب المعاصرة والاطروحات والدوريات فتتصف بقلتها ولا يوجد كتاب أوبحث متخصص عن الغزو البرتغالى للخليج وانما يتم التعرض لذلك من خلال دراسة الخليج ـ العربي او المحيط الهندى في الفترة موضوع البحث ، كما ان ما تذكره هذه المصادر يكرر ماروته المراجع والمصادر السابقة دون تحليل أو اضافة .

ولأجل اعطاء صورة واضحة وتغطية شاملة لماورد من نتف عن الغزو البرتغالى للخليج العربي فى المصادر الفرنسية قسم الموضوع حسب قدم التسلسل الزمنى لفترة الرحلة وسنة طبع الكتاب .

● وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

توجد وثيقة واحدة فقط ضمن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تحت عنوان : بحوث ووثائق فارس ، الجزء ٨ .

تتعرض للوجـود البرتغـالى في الخليج العربي فى بحث كتبه مجهول بعنوان تفصيل العلاقات بين فرنسا وفارس (١٦٠٥ الى ١٧٢٤) وجاء فيه :

بأن جزيرة هرمز كانت تحت حكم احد الشيوخ العرب وجعل منها مركزا تجاريا بين شبه الجزيرة العربية وفارس والهند حتى وصول البوكيرك الى الخليج وسيطرته على الجزيرة وعلى مسقط وكرك وقشم والبحرين حيث كان يصاد اللؤلؤ الجيد هناك ويصف البحث تصرف البرتغاليين مع السكان بالفظاظة والغبـاء ويشير بعدها الى كيفية طرد البرتغاليين من هرمز عام ١٦٢٢ بتحالف الانجليز الذين تعهدوا باعداد السفن مع الفرس الذين كـان عليهم اعداد الجيوش البرية ويعتبر البحث سقوط هرمز نهاية لامبراطورية البرتغاليين في الهند ويذكر طرد البرتغاليين من مسقط على يد أحد القادة العرب لكنه يخطىء فى التاريخ فيحدده بعام ١٦٤٩م ويشير هذا البحث الى ان السيادة فى الخليج بعد هذا التاريخ اصبحت للعرب .

● الغـزو البـرتغـالى للخليج العربي من خلال المصادر الفرنسية فى القرن السابع عشر :

شهد القرن السابع عشر كثرة الرحلات الفرنسية الى الهند وفارس والعراق والخليج العربي غير أن قسما من الرحالة لم يسلك طريق الخليج العربي عند ذهابه الى الهند وانما سلك الطريق البرى عبر تركيا وشمال ايران وروسيا لذا جاءت رحلاتهم خالية من المعلـومات التى تتعلق بالوجود البرتغالى فيه بشكل تفصيلي وأهم الكتب والرحلات التى تناولت الاحتلال البرتغالى في الخليج فى هذا القرن الاتى :

● رحلة الشرق تأليف فيليب ر . ب :

بدأ فيليب رحلته عام ١٦٢٩ ووصل الى البصرة فى عام ١٦٣١ ووجد في ذلك الوقت أسطولا برتغاليا تجاريا مؤلفا من خمس وعشرين سفينة تحمل بضائع متنوعه ويذكر فيليب ان البرتغاليين وجدوا صعوبة فى تصريفها كما واجهوا ضغوطا من حاكم فارس الـذي طالب المتسلم : العثمـانى بتسليم احد البرتغاليين الفارين الى البصرة ، وكان البرتغاليون يحرسون سفنهم بيقظه وعملوا بسرعة فائقه وشحنوا سفنهم بالتمـور وغادروا المدينة فى ٤ تشرين الثانى .

زار فيليب بعدها جزيرة لارك فى نفس العام (١٦٣١) والتقى هناك كما يقول (بالاسطول الحربى البرتغالى وهو راس فى الجزيرة ويقوم بمنع كل القوارب الصغيرة التى تريد الخروج لصيد اللؤلؤ من جزيرة نخيلو دون إذن من البرتغاليـين لذلـك ذهب

معظمهم الى جزيرة قيس تخلصا من الرقابة البرتغالية غير ان الرحالة الفرنسي لم يقدم اى وصف لسفن الأسطول البرتغالى الحربى أو أعدادها أو نوعية تسليحها .

سافر فيليب الى الأحساء والقطيف ووصف تجارة البرتغاليين مع هذه المنطقة فذكر ! ان السفن البرتغالية التى تأتى مرتين خلال السنة للمتاجرة كما هى الحالة فى البصرة ، تبيع بضائع الهند ويشترى ـ البرتغاليون من القطيف التمور ، وبعض الفواكه الأخرى ، والسجاد وأشياء أخرى وينقلونها الى الهند ، كما يشترون ويشحنون بشكل رئيسي من القطيف الخيول العربية المشهورة بأصالتها وتستثنى عشرة منها من ضرائب الكمارك) .

والمنطقة الأخرى التى زارها كانت مسقط التى اعتبرها : (أقوى مكان للبرتغاليين حيث يوجد فيها قلاع محصنة تحصينا قويا جدا ، والتى تحولت اليها تجارة هرمز بعد طرد البرتغاليين منها ، ولذلك كبرت كثيرا) ويقدم فيليب أيضا وصفا دقيقا لميناء مسقط وتحصيناته والمدفعية المثبتة فوق الجبال للدفاع عنه ويصف أيضا صحار التى فيها قلعة عسكرية للبرتغاليين ويتطرق الى وجود عدد من الجزر بالقرب من الخليج بالقرب من مسقط وتوجد جزيرة صغيرة جدا تسمى جزيرة القصر واطلق عليها هذا الاسم تخليدا لذكرى انتصار البرتغاليين على عدد من سفن الكاليز التركية .

ويؤكد الرحالة الفرنسي (المبشر) بأن هرمز والمناطق الساحلية غربا وشرقا وبعض الجزر كانت تحت سيطرة احد الشيوخ العرب عند وصول الفونسودا البوكيرك وغزوها ، كما يذكر أنه في وقت زيارته للخليج كانت مسقط وقريات وصحار وخور فكان ودبا وغيرها ضمن الاحتلال البرتغالي وفيها حاميات عسكرية .

● حالة فارس في ١٦٦٠ تأليف رافائيل دومان ، باريس ١٨٩٠ مع مقدمة كتبها سيشفر :

جاء في المقدمة التى كتبها سيشفر استعراض وتتبع تاريخى لعلاقات فارس بأوروبا ومنها العلاقة مع البرتغاليين ونشاطهم في الخليج العربي ويبدأ بسرد العراقيل التى وضعها البرتغاليون امام السفير (فكورا) الذي أرسله الملك الاسبانى الى فارس عند وصوله الى كنوا عام ١٦١٤ وكانوا يغارون من رؤية الاسبان ولهم سفير فى احد بلاطات الشرق فأخروه ثلاث سنوات الى أن اضطر ، أن يستأجر فى الأخير سفينة على حسابه الخاص قامت بنقله الى فارس وتوضح المقدمة المعاملة السيئة التى كان يتلقاها تجار وموظفو شركة الهند الشرقية الانجليزية من البرتغاليين فى هرمز بعد انشاء مكتب لهم في بندر عباس عام ١٦١٣ .

غير أن أهم ما أسهب رافائيل فى